

كَلْبُ الْمَوْتِ

أَجَاتَا كَرِيشْتِي

كَلْبُ الْمَوْتِ



Organization of the Alexandria Library (OAL)
As-Sa'ad al-Alexandria

المكتبة الثقافية
مبروت - لبستان

جميع الحقوق محفوظة

كلب الموت

- ١ -

سمعت القصة لأول مرة من ويليام ب. ريان ، المراسل الصحفي الأمريكي ، كنا نتناول العشاء في لندن غداة هودقه من نيويورك ، وتصادف أن قلت له إني ذاهب في الغد إلى قرية فولبريدج ، وتساءل ويليام قائلاً بدهشة :

- فولبريدج في كورنوال ؟

كانت قرية منمورة ، وقد أثار دهشتي أن ويليام يعرفها .

وأجبتة بقول :

- نعم ، هل تعرفها ؟

رد بالايحاب ، ثم سألتني عما إذا كنت أعرف منزل مورين .

وترايدت دهشتي ، وقلت له :

- أعرفه حق المعرفة وأنا ذاهب إليه في الواقع ، إنه منزل

أختي .

وقال ويليام :

- هذا أمر مثير للغاية .

وعندما سأله إيضاحاً قال :

- هذا يقتضي أن أروي لك تجربة مرت بها في بداية فترة الحرب .

تهدت بعمق ، دارت الواقعة التي أشير إليها سنة ١٩٢١ ، ولم يكن أحد يسمعه أن يتذكر أحداث الحرب العالمية الأولى .

ولكن ويليام استرسل قائلاً :

- كنت في بداية الحرب مراسلاً لصحيفتي في بلجيكا ، وكنت دائب الحركة . توجد قرية سوف أسمىها س ، ورغم أنها قرية صغيرة ، إلا أن بها ديراً كبيراً للراهبات ، وكانت تلك القرية تقع على الطريق الذي يتقدم نحوه الألمان ، ووصلت حشود الألمان .

سرت في بدني رجفة ..

ورفع ويليام يده وهو يطمئنني بقوله :

- ليست إحدى قصص الفظائع التي ارتكبها الألمان . اتجه جنود العدو نحو الدير ، وما كادوا يبلغون الدير حتى انفجر كل شيء .

رحمت قائلاً بفزع :

- أوه !

- عملية غريبة ليس كذلك ، ظننت ان الألمان يقيمون احتفالاً وأنهم يلهون بمتفجراتهم ، ولكن الأمر لم يكن كذلك ، وإني أسألك :

ما الذي تعرفه الراهبات عن القنابل قوية الانفجار .

وقلت له وأنا أمز رأسي :

- إنه أمر غريب حقاً .

- كنت مهتماً بالاستماع إلى رأي الفلاحين في الحادث ، وكان رأيهم بالاجماع ان ما حدث معجزة عصرية ، ونحدث بعضهم عن راهبة قديسة يعتقدون أنها رأت ما حدث .

ووفقاً لروايتهم استعانت الراهبة بالصواعق لتفجر الألمان غير الأتقياء ، وقد انفجر المكان ليقتضي على كل من كان قريباً من مكان الانفجار . معجزة ضخمة !

لم يكن لدي وقت لاستقصاء أسباب الحادث ، ونشرت الرواية كما سمعتها وارسلتها لصحيفتي .

واستقبلها القراء في الولايات المتحدة بترحيب شديد لأنهم كانوا على استعداد لتصديق الكرامات الدينية والقدرات الخارقة التي تتمتع بها بعض الراهبات ، ولكنني شعرت برغبة قوية في قصي الحقيقة ، فلم يكن في الموقع ما يستحق الاهتمام سوى جدارين كانا لا يزالان قائمين ، وعلى أحدهما الآثار السوداء التي خلفها احتراق البارود ، وهي تتمثل في شكل كلب ضخم ، وكان الفلاحون يرتعدون عند التطلع إلى ذلك الشكل ويطلقون عليه اسم « كلب الموت » ، وكانوا يتجنبون المرور من تلك البقعة بعد هبوط الظلام .

سكت ويليام برمة ثم اردف يقول :

- الخرافات محلية دائماً ، ومن ثم داخلتنني الرغبة في مقابلة الراهبة

التي تمت على يديها المعجزة عندما سمعت انها نجت من الحادث ، وانها
سافرت مع حفنة من اللاجئين الى بريطانيا ، وفكرت في تحمل مشقة
السفر لاقتفاء أروها عندما علمت ان المقام استقر بها في قرية فولبريدج
في كورفول .

كنت أريد أن أسمع القصة من لها ، ولكن مشاغلي حالت دون
تحقيق رغبتي ونسيت الأمر حتى سمعتك تشير إلى فولبريدج .
وقلت له :

- سوف أسأل اختي فلعلها سمعت عن الحادث ، ولعلك تعلم أن
البلجيكيين قد عادوا إلى وطنهم منذ وقت طويل .

- إذا عرفت شيئاً من اختك بسمعتي أن أعرفه .
فأجبتته بجملة :
- سأخبرك بالطبع .

أثرت القصة للمرة الثانية في اليوم التالي لوصولي إلى بيت حبرن ،
كنت أتناول الشاي مع أختي في الشرفة حين سألتها :

- كيتي .. هل تذكرين راهبة بين مجموعة اللاجئين البلجيكيين الذين
يقيمون في بيتك ؟

- لملك تقصد الأخت ماري الجبيليك .

وسألتها بحذر :

- ربما تكون هي المقصودة ، حدثيني عنها .

- أوه .. إنها أشد المخلوقات غرابة ، هل تعلم أنها لا توال

موجودة هنا ؟

- ماذا تقولين .. تقيم في هذا المنزل ؟

- كلا . ولكنها موجودة في القرية ، هل تذكر الدكتور روز .

هزئت رأسي نفياً وأنا أقول :

- أذكر طبيباً عجوزاً في حوالي الثالثة والخمسين من العمر .

- تعني الدكتور ليرد .. لقد مات .. أما الدكتور روز فقد وقد

إلى القرية منذ بضع سنوات ، وهو شاب مفرط الذكاء ، متشبع
بالأفكار الحديثة ، وقد أولى الأخت ماري الجليليك بالغ اهتمامه ، لأنها
تعاني في بعض الأحيان من الهلوسة والفيبوبة ، وهي من ثم حالة جديدة
بالدراسة الطبية ، وحيث أن الأخت المسكينة لم تكن تعرف مكاناً
تتجه إليه ، فقد تفضل الدكتور روز مشكوراً بتدبير مكان لإقامتها
في القرية ، وأعتقد أنه يعد بحثاً طبياً عن حالتها .

سكنت برهة ثم أردفت تقول :

- ولكن ماذا تعرفه عنها .

- سمعت عنها قصة غريبة .

ورويت لها القصة التي سمعتها من ريان ، وأبدت كيتي اهتماماً
كبيراً ، ثم قالت :

- إنها تبدو كذلك الطراز من الناس الذي يستطيع أن ينسبك ،
لا أدري ما إذا كنت تفهم ما أقصده ..

وقلت لها وقد تزايد اهتمامي بالراهبة :

- اعتقد انني في شوق إلى مقابلة هذه الراهبة .

- افعل .. فأنا أحب ان اسمع رأيك فيها ، قابل الدكتور روز
أولاً ، لماذا لا تذهب إليه بعد تناول الشاي ..

وافقت على الاقتراح ..

ووجدت الدكتور روز في منزله ..

قدمت له نفسي ، ووجدته شاباً لطيفاً ، إلا أن شعوراً داخلياً
جعلني أنقر منه ، ولاحظت أنه بوغت عندما ذكرت اسم الأخت

النجيبك ، ولكن اتمامه تزايد عندما رويت له قصة ريان .
وقال مفكراً :

- آه هذا الشيء الكثير .

رفع بصره إلى وجهي واسترسل قائلاً :

- هذه حالة جديدة بالدراسة ، من الواضح ان هذه الراهبة
تعرضت إلى صدمة شديدة قبل مجيئها إلى هنا ، فقد كانت في حالة
من التوتر العصبي الشديد ، وهي شخصية بالغة الغرابة ، وربما احببت
أن تراها بنفسك .

رحبت بذلك ، وصحبني الطبيب إلى كوخ يقع في أطراف القرية ،
وتقع معظم مساكن فولبريدج على الجانب الشرقي من نهر فول ، أما
الشاطئ الغربي فلا يصلح للبناء لكثرة النسلال الصخرية ، رغم وجود
بضعة أكواخ في ذلك الجانب ..

وكان كوخ الطبيب يقع على حافة صخرة في اقصى طرف من ذلك
الجانب ، وكان الكوخ الذي نقصده يطل على البحر .

وقال الدكتور روز :

- هنا تقيم الممرضة المحلية ، وقد اتخذت الترتيبات اللازمة
لكي تقيم الأخت مساري النجيبك معها حتى تكون تحت الاشراف
الطبي المستمر .

وسألته قائلاً بفضول :

- هل هي في حالة طبيعية .

وأجابني الطبيب باسمًا بقوله :
- تستطيع بعد دقيقة ان تحكم على ذلك بنفسك .
كانت الممرضة تستعد لركوب دراجتها لحظة وصولنا ، وبأدائها
الدكتور روز بقوله :

- مساء الخير ، كيف حال مريضتك اليوم ..
- جالسة كماداتها في هدوء مشبكة الذراعين ، شاردة اللب ، لا
تجيبني عندما اخاطبها ، وربما كان السبب أنها لا تفهم قدرًا كافيًا من
اللغة الانجليزية رغم طول الوقت الذي امضته معنا .

أوما الطبيب برأسه في حين ركبت الممرضة دراجتها ، وفتح
الطبيب باب الكوخ لنرى الأخت ماري راقدة على الأريكة بالقرب
من النافذة ..

أدارت الراهبة رأسها تجاهنا ، وكان وجهها بالغ الشحوب ، وعيناها
واسعتين بشكل ملفت للنظر ، تشمان بنظرات تعكس المأساة التي
تعيشها الراهبة .

وخاطبها الطبيب بالفرنسية قائلاً :

- مساء الخير ايها الأخت .
- مساء الخير ياسيدي الطبيب .
- هل تسمحين لي أن اقدم لك صديقي المسار انستور ..

المنحيت للراهبة التي افتر ثمرها عن ابتسامه واهنة . وقال الطبيب
وهو يجلس يحوارها :
- وكيف حالك اليوم ؟ .

- إني اقرب ما اكون إلى حالتي المعتادة .
ترددت الراحبة برهة قبل ان تسترسل في الحديث قائلة :
- لا شيء يبدو لي حقيقياً ، أمي أيام تلك التي تمر بي ام شهر
ام اعوام .. لا اكاد ادري ، ولكن احلامي هي التي تبدو لي
حقيقية .

- أما زلت تحلين كثيراً ؟
- دائماً .. دائماً وأنت تعرف ، تبدو الأحلام حقيقية أكثر
من الحياة .

- هل تحلين بوطنك بلجيكا ؟
هزت الراحبة الشابة رأسها قائلة :
- كلا .. إنني أحلم ببلاد لم يكن لها وجود قط ، ولكنك
تعرف هذه القصة جيداً يا سيدي الطبيب . فقد رويتها لك مرات
عديدة ..

توقفت عن الحديث برهة ثم أردفت تقول :
- ربما كان هذا السيد طبيباً هو الآخر ، لعله أحد أطباء المنع ؟
قال الدكتور روز بلهجة التأكيد :
- كلا . كلا !
لاحظت أثناء ابتسامه الطبيب أسنانه المدببة ، وخطر ببالي انه
أقرب شياً بالنشب .

واسترسل الطبيب في حديثه قائلاً :
- فكرت في أن الالتقاء بالمستر انستروفر يملك لأنه يعرف

بلجيكا ، وقد سمع مؤخراً بعض الأخبار التي تتعاق بالدير الذي كنت
تقيم فيه .

التفت الطبيب نحوي ..

وقلت تعليقا على حديثه :

- كل ما في الأمر إني كنت أتناول العشاء منذ يومين مع أحد
الأصدقاء ، وقد وصف لي ذلك الصديق أطلال جدران الدير .

- إذا فقد لحق الدمار بالدير ؟

تفوهت بتلك الكلمات كأنها تخاطب نفسها ، ثم حدتني بنظراتها
وهي تقول :

- أخبرني يا سيدي .. هل أخبرك صديقك عن الكيفية التي دمر
بها الدير ؟

- لقد لسف .. ويخشى الفلاحون المرور أمامه خلال ساعات الليل
- مم يخافون ؟

- توجد علامة سوداء فوق الحائط المدمر .

مالت الراهبة يجسمها قليلا إلى الأمام وهي تقول :

- خبرني يا سيدي ، خبرني بسرعة ، ماذا تشبه هذه العلامة

- إنها تتخذ شكل كلب ضخم أسود ، يطلق عليه الفلاحون :

« كلب الموت » .

- آه ! إذن فالأمر صحيح .. إنه حقيقي ، كل ما أتذكره

صحيح . ليس مجرد كابوس .. لقد حدث بالفعل ، لقد حدث حقا !

وقال لها الطبيب بلمفة وبصوت خافت :

- ما الذي حدث ابتها الأخت ؟

- لقد تذكرت ، هنالك على الدرج ، لقد تذكرت ، تذكرت الوسيلة إلى ذلك ، استخدمت الطاقة على النحو الذي اعتدناه .. وقفت على درج المذبح وأمرتهم ألا يتقدموا خطوة واحدة ، وطلبت منهم أن يمودوا في سلام ، ولكنهم لم يستمعوا إليّ ، استمروا في تقديمهم رغم تحذيري .. لهذا .

ومالت الراهبة يحسبها إلى الأمام بحركة غريبة قائمة :

- لهذا أطلقت عليهم كلب الموت .

ارتدت إلى الوراء لترقد على الأريكة وهي ترتجف ، وعيناها مفلقتان ، ووقف الطبيب وقدم لها كوباً من الماء سكب عليه قطرتين من زجاجة صغيرة كانت يعضها في جيبه ، وقدم لها الكوب قائلاً بلهجة الأمر :

- اشربي هذا ..

أطاعت الراهبة بطريقة آلية ، بينما تتطلع عيناها إلى شيء غير مرئي ، وقالت :

- ولكن الأمر كان حقيقياً .. كل شيء ، مدينة الدوائر ، شعب البلورة ، كل شيء .. كل شيء حقيقي .

وقال الطبيب :

- قد يبدو لك الأمر كذلك .

كان الطبيب يتحدث بصوت هامس ليشرحها على الماضي في حديثها ، ثم أردف يقول :

- حدثني عن المدينة .. مدينة الدوائر ، اليس هذا هو الاسم الذي أطلقته عليها ؟

أجابت الراهبة قائلة بطريقة آلية :

- نعم .. كانت توجد ثلاث دوائر .. الدائرة الأولى للصفوة المختارة ، والثانية للراهبات ، أما الدائرة الخارجية فللمهملين .

وسألها الطبيب :

- وماذا في الوسط ..

تنفست الراهبة بصعوبة وهي تقول بوجل :

- مقر البلورة !

تحسست الراهبة جيئنها بيدها اليمنى ، بينما يتابع اصبعها شكلاً معيناً ..

وبدا وكأن اصبعها يتصلب ، ثم أغلقت عينيها بينما جسدها يرتجف ، واعتدلت فجأة كأنما تفتق من حلم فظيع وهي تقول باضطراب :

- ما الأمر .. ماذا كنت أقول ..

أجاب الطبيب قائلاً :

- لا شيء .. انت متعبة وتحتاجين إلى قسط من الراحة ، سوف نتركك الآن .

سألني الطبيب بعد خروجنا من الكوخ :

- ما هو رأيك الآن .

وأجبته ببطء قائلاً :

- أعتقد إنها مشوشة العقل تماماً .

- اهذا هو رأيك ..

- حسناً .. من الغريب أنك تكاد تقتنع بأنها تقول الحقيقة حينما تستمع إلى حديثها ، ويخيل اليك أنها فعلت ما تزعم انها فعلته .. اعني انها حققت معجزة خارقة ، وإيمانها بأنها فعلت ذلك يبدو صادقاً ، هذا هو السبب .

قال الطبيب :

- دعنا ننظر إلى الموضوع من زاوية اخرى ، فلنفترض انها حققت معجزة .. وإنها تمكنت بالفعل من تدمير المبنى وبضع مئات من المخلوقات البشرية .

وقاطعته باسمًا بقولي :

- بمجرد ممارستها للارادة ..

- لا اريد ان اصور الأمر على هذا النحو ، ولكنك ولا شك تتفق معي على انه بإمكان اي شخص ان يلسف مجموعة من الأماكن بمجرد الضغط على زر يتحكم في مجموعة من الألغام .

- نعم .. ولكن هذا عمل ميكانيكي .

رد الطبيب :

- هذا صحيح ، ولكنه في جوهره عملية تحكم في قوى الطبيعة .
وتعتبر العاصفة الرعدية أساساً نفس الشيء .

وسألته مستغرباً :

- ولكننا نحتاج إلى وسائل ميكانيكية لكي نتحكم في العاصفة

الرعدية .

ابتسم الدكتور روز ، ثم قال :

- توجد مادة يطلق عليها اسم .. حشيشة البقول ، وتوجد هذه المادة في الطبيعة في شكل نباتي ، ولكن الانسان يستطيع ان يركبها في المعمل ككائناً .

- حسناً .. وبعد .

- تتلخص وجهة نظري في انه توجد طريقتان للوصول إلى نفس النتيجة ، وأسلوبنا هو الأسلوب التركيبي ، وربما يكون هناك أسلوب آخر ..

وعلى سبيل المثال ، فإن النتائج الغريبة التي يصل اليها فقراء الهنود لا يمكن تفسيرها بسهولة ، وربما لم تكن الأشياء التي نصفها بأنها خارقة للطبيعة شاذة بأي حال ، فالانسان المتوحش يرى الضوء الكهربائي خارقاً للطبيعة ، وليس الشيء الخارق للطبيعة بأكثر من شيء طبيعي لم نتوصل بعد إلى فهم قوانينه .

وقلت له بإنبيار :

- ماذا تعني ؟

- إنني لا استبعد احتمال قدرة إنسان على تملك طاقة ديميرية هائلة يمكن أن يستخدمها في تحقيق أهدافه ، أما الوسيلة التي يتم بها تحقيق ذلك ، فقد تبدو لنا خارقة للطبيعة بينما هي في الواقع ليست كذلك .

حدقت في وجهه بذهول ..

وضحك الطبيب ثم أردف يقول :
- هذا مجرد تصور ، والآن اخبرني : هل لاحظت الائمة التي صدرت
عن الائمة وهي تتحدث عن مقر البلورة ؟
- نعم . وضعت يدها فوق جبينها .

قال الطبيب :

- تماماً .. ورسم اصبعها دائرة ، تماماً مثلما يفعل الكاثوليكي وهو
يرسم علامة الصليب . سوف أذكر لك الآن شيئاً مسلياً يا مسر
أنسترو .. لقد ترددت كلمة البلورة كثيراً على لسان مريضتي أثناء
هلوتها ، وقد أجريت تجربة ، استمرت البلورة من أحد الأشخاص
ووضعتها أمام عيني الائمة فجأة لأرى رد الفعل .

فسألته مستفهماً :

- وكيف كان رد الفعل ؟
- تصلب كل جسدها وظلت تحلق في الكرة البلورية وكأنها لا
تصدق عينها ، ثم ركعت في خشوع أمام البلورة وهي تتمم بكلمات
خافتة ، ثم أغمى عليها .
- وماذا كانت كلماتها ؟

رد الطبيب :

- كلمات شديدة الغرابة .. قالت : البلورة ! إذن فالأيمان لا
يزال قائماً !

- شيء غريب .

- نصل إلى الأمر الغريب التالي .. حين عادت إلى صوابها كانت

قد نسيت الأمر برمته . أطلعتها على الكرة البللورية وسألتها عما إذا كانت تعرف شيئاً عنها ، وقالت إنها تعتقد أنها واحدة من تلك الكرات البللورية التي يستخدمها المرافون لقراء الخيب . سألتها عما إذا كانت قد رأت واحدة من قبل ، وكان ردّها : لم أرها من قبل قط يا سيدي الطبيب . ولكنني رأيت نظرة حائرة في عينيها .
وسألتها : ماذا يقلقك أيتها الأخت ؟

وقالت : لأن الأمر بالغ الغرابة .. اني لم أرَ من قبل كرة بللورية ومع هذا يبدو لي اني أعرفها خير المعرفة .. هنالك شيء ، لو انني استطعت ان اذكر ..

كان من الواضح أنها تبذل جهداً ضخماً كي تتذكر ، ومن ثم فقد أمرتها بالكف عن المحاولة . كان ذلك منذ أسبوعين ، وسوف أجري بالغد تجربة اخرى .

– بالكرة البللورية ؟

– نعم .. سأطلب منها ان تركز النظر عليها ، وأعتقد أن النتيجة ستكون ممتعة .
قلت له بفضول :

– ما هي النتيجة التي تتوقع الوصول اليها ؟

كنت أتحديث ببراءة ، وخيل الي أن وجه الطبيب احمر ، وأن لهجته تغيرت وهو يحيني بطريقة رسمية قائلاً :

– حالة الأخت ماري المجيليك جديدة بالدراسة .

همست لنفسي قائلاً في دهشة : هل اهتمامك بها قاصر على الناحية

العملية البحثية ؟

وقلت له بصوت مسمرع :

- هل تسمح لي بحضور التجربة ؟

تردد قليلا قبل الاجابة ، وخيل اليّ انه لا ييسل إلى وجودي ،
ولكنه قال اخيراً :

- تستطيع حضور التجربة ولا شك .

ثم أضاف بعد برهة :

- أعتقد انك لن تبقى هنا طويلا ؟

- حتى بعد غد ..

بدا عليه الارتياح ، ثم بدأ يتحدث عن بعض التجارب التي يجريها

على الخنازير الغيلية .

التقيت بالطبيب في الموعد الذي حدده لي بعد ظهر اليوم التالي ،
وفدعنا سوياً إلى الأخت ماري الجبيليك ، ولاحظت ان الطبيب متلهف
في هذه المرة إلى محو آثار تصرفه معي في اليوم السابق حيث قال
لي ببساطة :

- يجب الا تأخذ ما قلته لك على محمل الجد ، ولا احب ان تتصور
اني من هواة علم البصریات .
- أحقاً ؟

ضعك الدكتور روز ، وحينما بلغنا الكوخ كانت الممرضة بحاجة إلى
استشارته في موضوع طبي ، وهكذا وجدت نفسي وحيداً مع الأخت
ماري ، ولاحظت انها تتفرسني ملياً ، وكانت هي البادئة بالحديث
حيث قالت :

- هذه الممرضة طيبة ، اخبرتني انك شقيق السيدة التي تملك البيت
الكبير الذي اقامت فيه عند قدومي من بلجيكا .

وأجبتها قائلاً :

- نعم ..

- لقد كانت لطيفة معي ، إنها سيده طيبة .
التزمت الصمت برهة كأنما تستجمع افكارها ..
ثم اردفت تقول :
- والطبيب .. ليس هو الآخر رجلا طيباً ؟

قلت لها بارتباك :
- آه .. أعتقد ذلك .
ردت الراحبة :
- آه .. لقد كان بالغ الرقة معي .
- أنا واثق من ذلك .

نظرت اليّ بحدة ثم قالت :
- سيدي .. أنت تخاطبني الآن ، هل تعتقد اني مجنونة ؟
- أيتها الأخت .. مثل هذه الفكرة لم تخطر ببالي قط .
هزت برأسها ببطء وهي تقول :
- هل أنا مجنونة ؟ انني لا أدري .. الأشياء التي أذكرها والأشياء
التي أنساها .

تهدت بعمق في اللحظة التي ظهر فيها الدكتور روز الذي حياها
بحر ، وشرح لها المطلوب منها أن تفعله قائلاً :
- أنت تعرفين أن بعض الأشخاص يتميزون برؤية الأشياء في
الكرة البللورية ، وأنا أعتقد أنك واحدة من هؤلاء الأشخاص .

وأجابته بإكتئاب قائلة :
- كلا .. كلا .. لا أستطيع أن أفعل ذلك .. قراءة

المستقبل إثم ..

عند الطبيب إلى تغيير أسلوبه في اقناعها بلباقة قائلا ،
- لا يجب على الانسان أن يستطلع الغيب . أنت محقة في هذا تماما ،
ولكن قراءة الماضي أمر مختلف .

تمتت الراهبة :

- الماضي ؟

- نعم .. توجد في الماضي أشياء كثيرة بالغة الغرابة .. ومضات
تظهر للانسان ، يمكن رؤيتها للحظة خاطفة ، ثم سرعان ما تختفي ،
لا تحاولي البحث في الكرة عن أي شيء طالما أن ذلك غير مسموح
لك .. كل ما أطلبه منك أن تمسكي الكرة بين يديك .. هكذا .
انظري خلالها بعمق ، نعم .. بعمق أكثر ، أنت تذكرين .. أنت
تسمعين حديثي إليك وتستطيعين الاجابة على أسئلتني ، هل تسمعين ما
أقول لك ؟

أطاعت الأخت ماري أوامر الطبيب وحملت الكرة بين يديها
بتوقير شديد ، ثم بدأت تمحرق فيها بعينين زائفتين ، ومال رأسها كأنها
نائمة ..

أخذ الطبيب الكرة منها برفق ووضعها على الطاولة ، ثم رفع طرف
جفنها وجلس يحواري وقال لي :

- يجب أن ننتظر حتى تستيقظ ولن بتأخر ذلك .

كان الطبيب محقا في ذلك ، لأن الراهبة استيقظت بعد خمس دقائق
وقالت بصوت حالم :

.. أين أنا ؟

- أنت هنا في البيت .. فقد نمت فترة قصيرة حلت خلالها ،

اليس كذلك ؟

أومأت برأسها قائلة :

- نعم .. حلت .

- هل حلت بالكرة البلورية ؟

- نعم .

- حدثينا عما رأيته في الحلم .

- سوف تفكر في الي مجنونة يا سيدي الطبيب ، لأن الكرة في

الحلم كانت رمزاً مقدساً . فقد تخيلت لنفسي مسجماً جديداً .. معلم

للبلورة مات نتيجة إيمانه ، وتمت مطاردة أتباعه والتتكيل بهم ، ومع

هذا فقد استمر الايمان .

- استمر الايمان ؟

- نعم . لمدة خمسة عشر الف قر كامل .. أعني لمدة خمسة عشر

الف عام .

- كم تبلغ مدة القمر التام ..

- ما يعادل ثلاثين قرأ عادياً . نعم .. كان ذلك في القمر التام

رقم ١٥ الف بالطبع ، وكنت أنا راهبة البرج الخامس في مركز

البلورة ، كان ذلك في الأيام الأولى من ظهور البرج السادس .

ضاق ما بين حاجبيها وبدأ الارتياح على وجهها ..

ثم تمتت قائلة :

- في القريب العاجل . في القريب العاجل ، خطأ .. آه .. نعم ..
اني اتذكر ، البرج السادس ..

كادت تقفز واقفة ، ولكنها ارتدت إلى مقعدها وهي تتعسس جبينها
بيدها قائلة بهمس :

- ولكن ما هذا الذي أقول .. إنني أهذي ، لم تحدث تلك
الأشياء قط .

-والآن أرجوك ألا تبتشي .

ولكنها كانت تنظر إليه في حيرة ممزوجة بالغضب وقالت ،

- سيدي الطبيب ، اني لا أفهم لماذا أحلم هذه الأحلام ، هذه
الخيالات .. لم يكن عمري يتجاوز السادسة عشرة عندما تهربت ، لم
يسبق لي السفر إلى أي مكان ، ومع هذا فأنا أحلم بمدن وأشخاص غرباء
وهادات غير مألوفة .. لماذا !

- ألم يسبق لك أيتها الأخت النوم تحت تأثير التنويم المغناطيسي أو
الاستسلام لحالة من الغيبوبة ..

- لم أمر بتجربة التنويم المغناطيسي . أما بالنسبة للحالة الأخرى ،
فعندما أصلي في الكنيسة أحس كأنما انسلخت روحي من جسدي وإني
أموت لبضع ساعات ، إنها إحدى حالات البركة الإلهية .. هكذا
تقول الأم الموقرة

وقال الدكتور روز :

- أريد ان أجري تجربة أيتها الأخت ، فربما ساعدتك على التخلص
من تلك الذكريات الأليمة .. سوف أطلب منك ان تركزي نظراتك مرة

أخرى على الكرة البلورية ، وسوف اذكر لك كلمة معينة على أن
تجيب عليها بكلمة أخرى ، وسوف نستمر في ذلك إلى أن يحل
بك التعب ..

ركزي أفكارك في الكرة البلورية وليس في الكلمات .

لاحظت للمرة الثانية التوقير الشديد الذي توليه الراحبة الشابة
للكرة البلورية وهي تلمسها بأصابعها .

وخيم الصمت برهة ، ثم قال الطبيب : « كلب » .

وأجابت الأخت ماري على الفور قائلة « الموت » .

لا أريد أن أعرض تسجيلاً كاملاً لما دار في الجلسة ، فقد نطق بكلمات كثيرة لا معنى لها ، وكرر كلمات بعينها أكثر من مرة ، وكان يحصل على نفس الإجابة في بعض المرات ، وعلى إجابة مختلفة في مرات أخرى .

جلست في تلك الليلة مع الطبيب في كوخه نناقش نتائج التجربة ، وأخرج الطبيب دفتر مذكراته ثم قال :

- هذه النتائج ممتعة للغاية وغريبة كل الغرابة .. فرداً على كلمة « البرج السادس » كانت الاجابات المختلفة : الدمار - ارجوان - كلب - القوة ، ثم مرة ثانية الدمار وأخيراً القوة ..

لملك لاحظت انني عكست الأمر بعد ذلك وحصلت على النتائج التالية .. كان الرد على « الدمار » بـ « كلب » ، وعلى « ارجوان » بـ « القوة » ، وعلى « الكلب » بـ « الموت » وهذه الاجابات متماكة . ولكن عند تكرار كلمة « الدمار » كان الرد « البحر » ، وكان الرد على « البرج الخامس » هو : أفكار - طائر - أزرق ثم في النهاية

تلك الكلمة الموحية : انفتاح عقل على عقل ! ولما كان الرد على «البرج الرابع» هو «أصفر» ، ثم «النور» ، والرد على «البرج الأول» هو الدم ، فإنني استنتج من ذلك أن لكل برج لونا مميزاً وربما رمزاً معيناً . فكان الرمز للبرج الأول هو الطائر ، والرمز للبرج السادس هو الكلب .. على أية حال يخيل إليّ أن رمز البرج الخامس يتمثل في «التليباتي» ، أو بمعنى آخر انفتاح عقل على عقل آخر .. ورمز البرج السادس هو بالتأكيد طاقة التدمير .

- وما معنى كلمة «بحر» ؟

- أعترف لك اني لا استطيع تفسيرها . عندما ذكرت لها نفس الكلمة بعد ذلك كانت إجابتها هي الرد الطبيعي : مركب ، وعلى كلمة «البرج السابع» كان الرد : الحياة . وعندما كررت الكلمة كانت الاجابة : الحب .. وكان الرد على البرج الثامن هو : لا شيء ! وأستخلص من ذلك أن مجموع الأبراج لا يزيد على سبعة .

وقاطعته بقولي :

- ولكن البرج السابع لم يكن له وجود طالما أن الدمار تم خلال البرج السادس ..

- آه .. أهذا هو رأيك ؟ ولكننا نأخذ هذه الملوحة مأخذ الجد وهي في الواقع مهمة من الناحية الطبية فحسب .

- لا شك أنها مستعرجي انتباه علماء الطبيعة .

ضاقت عينا الطبيب وهو يقول :

- يا سيدي العزيز ، ليست لدي نية نشر هذا البحث على الملأ .

- لماذا كل هذا الاهتمام إذا ؟
- مجرد اهتمام شخصي .. سوف أسجل مذكرات حول هذه الحالة بالطبع .
- وهكذا .. حسناً ، طاب مساءك يا دكتور ، سأرحل في الغد .
- بدا الارتياح على وجهه بوضوح .
- وثابت حديثي قائلاً ،
- اتقن لك حفظاً طيباً في أبحاثك .
- ترى برهة قبل أن أقول له باسم :
- أرجو ألا تطلق علي « كلب الموت » عندما نلتقي في المرة التالية !
- كنت أصافحه في تلك اللحظة ، واحسست برجفة تسري في يده ،
- ولكنه سرعان ما استعاد هدوء اعصابه ، وانقرجت شفتاه وهو يبتسم
- لتكشف عن اسنانه المدببة ، ثم قال :
- بالنسبة لرجل يعشق القوة ، يا لها من طاقة ! أن تمسك بين قبضة
- يدك روح كل كائن حي !

كان ذلك آخر اتصال مباشر لي بتلك القضية ، ووصلت إلى حوزتي بعد ذلك نوبة مذكرات الدكتور روز ، وسوف اجتريء مقتطفات منها هنا ، ولست في حاجة إلى ان اقول أنها وصلتني بعد مضي فترة من الزمن .

٥ اغسطس : اكتشفت ان ما تعنيه الأخت م. أ بقولها ، « الصفوة المختارة » ، أولئك الذين أنجبوا المجلس .. لا شك انهم كانوا يتمتعون بمنزلة سامية ، وانهم كانوا يتميزون على رجال الدين .. قارن ذلك بالأيام الأولى للمسيحية .

٧ أغسطس : اقتنعت الأخت م. أ بأن تسمح لي بتنويعها تنوعاً مغناطيسياً ، ونجحت في دفعها إلى النوم ، ولكنني لم استطع تحقيق اتصال بها .

٩ اغسطس : هل كانت تسبقنا حضارات تعتبر حضارتنا بدائية بالنسبة لها ا غريب لو كان الأمر كذلك ، وانا اللسان الوحيد الذي يعرف هذا السر .

١٢ اغسطس : تم تنويم الأخت م. أ مغناطيسياً بسهولة إلا أن

استجابتها كانت سلبية .. لا أستطيع تحليل ذلك .

١٣ أغسطس : ذكرت الأخت م أ اليوم انه في حالة غيبوبتها الروحية لا بد من اغلاق البوابة .. حتى لا تفتح الفرصة لآخر في السيطرة على البدن ، امر مشير ولكنه يبحث على الحيرة .

١٨ أغسطس : هكذا يكون البرج الأول مجرد .. (الكلمات ممحوة هنا) ، إذا ما هو عدد القرون التي ينبغي أن تنقضي حتى نصل إلى البرج السادس ، لكن إذا وجد طريق مختصر للوصول إلى القوة ..

٢٠ أغسطس : عملت ترتيباً كي تحضر الأخت م . أ إلى هنا مع المريضة ، وأخبرتها أنه من الضروري أن تبقى المريضة تحت تأثير المخدر .. هل انا مجنون ؟ ام لملي سوف اكون السوبرمان الذي يملك بين يديه القدرة على الامانة ؟

(إلى هنا تنتهي المقتطفات من مذكرات الطبيب) .

أعتقد أنه كان يوم ٢٩ أغسطس حين تلقيت الخطاب الذي أرسل
باسمي على عنوان اخي ، وكان مكتوباً بخط اجني
فتحت المظروف بلهفة وقرأت الخطاب :

سيدي العزيز ..

لم أرك سوى مرتين ، ولكنني أحسست إنني أستطيع ان أوليك
ثقتي ، وسواء كانت احلامي حقيقية او وهمية ، فقد ازدادت وضوحاً
في الفترة الأخيرة ، وأود ان اخبرك يا سيدي ان كلب الموت ليس
مجرد حلم .. في الأيام التي حدثتك عنها (سواء كانت حقيقية او غير
حقيقية لا ادري) ، اذاع الشخص المكلف بحراسة البللورة من البرج
السادس للناس قبل الموعد ، وعندئذ دخل الشرقلويهم ، واصبحت لديهم
القدرة على ازهاق الأرواح كانوا يقتلون دون مراعاة للعدالة ..

اعمام الغضب وتلكنتهم شهوة القوة ، وعندما شاهدنا نحن ذلك ،
الأشخاص الذين ظلت قلوبهم نقية ، ادركنا أنه يتحتم علينا أن نوقف
اقام الدائره والوصول إلى عصر الخلود .. وصدرت التعليقات الحارس
البللورة الجديد ان يتصرف ، لا بد ان يموت الحارس القديم .

وأطلق كلب الموت على البحر (مع حرصه على ألا تغلق الدائرة)
وارتفع البحر على شكل قلب وابتلع الأرض كلها .. قبل ان اتذكر
هذا ، وانا واقفة على درجات المذبح في بلجيكا .

أما الدكتور روز فهو واحد من الاخوة ، وهو يعرف البرج الأول
وشكل البرج الثاني ، رغم أن معناه محبوب عن الجميع فيما عدا القلة
من الصفوة المختارة ، كان يريد ان يعرف مني معلومات عن البرج
السادس ، وقد قاومت رغبته بعض الوقت ، ولكنني ضعفت فليس من
المصلحة يا سيدي ان يمتلك إنسان تلك القوة قبل الأوان المحدد ..
يجب ان تنتقضي بضعة قرون قبل ان يحل الوقت الذي يسمح فيه للعالم
بتملك القدرة على الامانة .. إني أتوسل اليك يا سيدي ، انت الذي تحب
الطبية والحقيقة ان تساعدني قبل ان يفوت الأوان .

اختك في المسيح

ماري أنجيليك

سقط الخطاب من يدي على الأرض .. أثر في إيمان الراحبة ،
وأصبح الأمر واضحاً تمام الوضوح أمام عيني ، لقد أساء الدكتور روز
استخدام حقه كطبيب ، ولا بد لي أن أسرع لكي أنقذها .

لاحظت فجأة بين مجموعة الخطابات التي وصلتني رسالة بخط كيتي ،
ففضضت الظروف بسرعة وبدأت أقرأ :

« حدث شيء رهيب .. هل تذكر كوخ الدكتور روز الذي يقع
على حافة الصخرة ؟ لقد اجتاحه جرف وأزاله من الوجود في الليلة
الماضية ، ولقي الطبيب البائس والمرضة والأخت ماري أنجيليك

مصرعهم . اما منظر الحطام فهو بشع للغاية ، حيث تتكدس أكوام الحطام لتتخذ شكل قلب ضخم .

كيتي

سقط الخطاب من يدي .. ربما كانت الحقائق الأخرى محض مصادفة ، مات شخص يدعى المستر روز فجأة . وقد اكتشف انه قريب بالغ الثراء الدكتور روز .. مات في نفس الليلة ، ويقال ان صاعقة اصابته ، وعلى قدر المعلومات المتاحة لم يسمع أحد عن وقوع صاعقة في المكان الذي لقي فيه المستر روز حتفه .

إلا ان شخصاً او شخصين في المنطقة المجاورة قررا أنها سمعا قصة واحدة للرعد ، وقد عثر في جسمه على حرق غريب الشكل نتيجة تعرضه للشحنة الكهربائية ، وبموجب الوصية التي تركها كان يوصي بكل ثروته للدكتور روز ابن اخيه .

والآن .. فلنفترض أن الدكتور روز نجح في الحصول من الأخت ماري المجلييك على سر البرج السادس ، فقد كنت أشعر على الدوام أنه رجل ديني ، وأنه لم يكن يتورع عن قتل عمه ، لو انه عرف ان الثروة لن تؤول اليه .. إلا ان كلمة واحدة من كلمات الأخت ماري قدوي في اذني :

« مع حرصه على الا تطلق الدائرة .. ولكن الدكتور روز لم يكن حذراً من هذه الناحية ، وربما لم يكن واعياً بالخطوات التي يجب عليه اتخاذها ، او مجرد الحاجة إلى اتخاذها ، لهذا فقد عادت القوة التي استخدمها لتكبل الدورة ! »

ولكن الأمر كله لا يعدو ان يكون خرافة ا ويمكن تحليل الأحداث
بطريقة منطقية ..

كان الدكتور روز يعتقد ان هلوسة الأخت ماري المجيبليك تثبت أنه
بدوره مختل العقل ، ورغم هذا فلاني احلم في بعض الأحيان بقساره تحت
البهار ، حيث كان يعيش قوم وصلوا في فترة من الزمان إلى حضارة
ضخمة تتضاءل امامها حضارتنا الراهنة .

ام. هل كانت للراهبة ملكة تذكر احداث جرت في الماضي -
ويقول البعض إن هذا ممكن ، وهل تعتبر مدينة الدوائر الموجودة في
المستقبل وليس في الماضي ، عبثا .. ان الأمر كله لا يعدو ان يكون
مجرد هذيان .

الفجرية

- ١ -

كان ماكفرلين يلاحظ في مناسبات عديدة تفوراً غريباً من جانب صديقه ديكى. كاربنتر للفجر ، ولم يكن يجد تعليلاً مقبولاً لذلك ، ولكن الأسباب سرعان ما تكشفت له عندما فسخ صديقه خطوبته من استير لاوز ..

كان ماكفرلين خطيباً للشقيقة الصغرى راشيل منذ عام ، وكان يعرف كلتا الفتاتين منذ الطفولة ، ولم يكن على استعداد للاعتراف بأعجابه الشديد براشيل ذات الوجه الطفولي والمينين اللتين تشع منها البراءة .. لم تكن تداني استير جمالاً ، ولكنها كانت ولا شك أكثر عذوبة وصدقاً ، وازدادت عرى الصداقة وثقاً حينما تمت خطبتهما للاختين .

والآن . فسخت الخطوبة بعد أسابيع قليلة .. كانت حياة ديكى تجري بسهولة منذ شبابه المبكر حين التحق بالبحرية التي يواها منذ

صباه ، وكان من الأشخاص الذين يتمسكون بالعقل ولا يسمعون للعاطفة
بالتحكم في تصرفاتهم .

أخذ ماكفرلين يستمع وهو يدخل إلى صديقه الذي تتدفق الكلمات
كالسيل من بين شفتيه ، وداخله احساس بأنه سوف يستمع إلى نبأ
غير سار ، ولكن الذي سمعه كان شيئاً مختلفاً ، لم يتطرق الحديث
في البداية إلى استير لاوز ، وبدأت القصة كأنها مجرد فزع صبياني ..

قال ديكى :

- تبدأ القصة بحلم عندما كنت طفلاً .. لم يكن مجرد كابوس ..
كانت غجرية .. وأنت تعرف كثرة ظهور الفجريات في الأحلام حتى في
الأحلام المفرحة . كنت استمتع بتلك الأحلام إلى أبعد الحدود ،
وكنت أحس أني لو رفعت بصري فسأراها .. واقفة كما كانت تقف
دائماً تراقبني ، بعينيها الحزينتين ، كأنما تعلم شيئاً لا أفهمه .. لا أدري
لماذا كنت ارتجف ، وكنت أستيقظ في كل مرة مفزوعاً ، وتقول لي
المربية : هكذا عدت تحلم مرة أخرى يا سيد ديكى بالفجريات !

- هل كنت ترعع عند رؤية القجر الحقيقيين ؟

- لم أكن قد رأيت حتى ذلك الحين واحدة من الفجريات .

كنت أبحث عن كلي الصغير الذي هرب من البيت . اجتازت باب
الحديقة وخرجت إلى الغابة المجاورة للمنزل ، ووصلت إلى منطقة
مكشوفة حيث يوجد جسر خشبي مقام فوق تربة ، وكانت تقف أمام
مدخل الجسر مباشرة غجرية تضع فوق رأسها منديلاً أحمر ..

نفس الفجرية التي كنت أراها في الحلم ، كانت ترمقني بنفس النظرات كأنها تعلم شيئاً أجهله ، ثم قالت لي بمنتهى الهدوء وهي تومئ لي برأسها :
لو اني كنت مكانك ما مررت بهذا الطريق ..

ارتعدت لكلماتها ومع هذا استأنفت سيري نحو الجسر ، كان الجسر متأكلاً وهوى تحت ثقل جسدي ومقطت في الترعسة وأشرفت على الفرق ، لم استطع أن أنسى ذلك الحادث قط ، وداخلي شعور بأن مرجع ذلك إلى الفجرية ، أخبرتك بذلك الحلم ليس لأن له صلة بما حدث بعد ذلك - أنا شخصياً اعتقد هذا - ولكنني رويته لك لأنه كان نقطة البدء في الأحداث التالية ..

ولعلك تدرك الآن ما أعنيه بالاحساس بالفجرية ، لهذا سأعود إلى تلك الليلة التي ذهبت فيها إلى منزل أسرة لاوز لأول مرة في أعقاب هودتي إلى المجلترة .. كانت تربط بين أسرتي وأسرة لاوز أواصر الصداقة ، ولم أكن قد شامت الفتاتين منذ كنت في السابعة ، ولكن آرثر الصغير كان صديقاً حميماً لي ، واعتادت أستير أن تراسلني بعد موت آرثر .. كانت تكتب لي خطابات لطيفة للغاية تدخل البهجة على قلبي ، وكنت في اشد اللهفة للانتقاء بها ، لهذا كان الذهاب إلى منزل لاوز أول ما خطر على بالي ..

لم تكن أستير في المنزل لحظة وصولي ، وقيل لي انها ستعود في المساء ، جلست أثناء العشاء يحوار راشيل ، وبينما كنت أستعرض المائدة الطويلة بنظراتي أحسست بأجسام غريب أشعرتني بالضيق ..
وعندئذ رأيتها .

- من التي رأيته ؟

- مسز هاورث .. كانت تختلف تماماً عن الموجودين ، كانت تجلس
يحوار لاوز المعجوز ، وكانت تلف رقبتها بمنديل احمر من التل ، يبدو
للناظر كأنه السنة اللبيب ، وقلت لراشيل : من تلك السيدة التي تضع
حول رقبتها منديلاً أحمر ؟

وقالت راشيل : تعني اليستير هاورث ، إنها تضع منديلاً احمر ولكنها
إلسانة بالغة الرقة .

ولقد كانت كذلك في الواقع .. كان شعرها أصفر رغم أنني كنت
واثقاً من اني رأيته اسود في المرة الأولى .. كم يكون البصر خداعاً
في بعض الظروف ، قامت راشيل بواجب التعارف بعد العشاء ، وسرنا
نحو الحديقة ، ودار الحديث بيننا عن تناسخ الأرواح .

- ولكن هذا الموضوع بعيد عن دائره اهتمامك يا ديكى ا

- أعتقد ان هذا صحيح .. واذكر أنني أبديت دهشتي لشعور
الانسان عندما يلتقي بشخص لأول مرة كأنما يعرفه منذ زمن بعيد ..
وقالت : تقصد المشاق ..

لاحظت رنة غريبة في طريقة حديثها ، وذكرني ذلك بأمر لم
استطع ان اتذكره على وجه التحديد ، ودار الحديث لحظة حتى نادانا
لاوز المعجوز من الداخل قائلاً ان استير هادت وتريد رؤيتي ..

وضعت مسز هاورث يدها فوق ذراعي وقالت : ستذهب إلى
الداخل ؟ قلت : نعم . وقالت : لو اني كنت مكانك ما دخلت الآن ا
افزعني كلماتها أشد الفزع .. لأنها كانت تتحدث بمنتهى الهدوء ، كأنها

تعلم شيئاً لا اعرفه .. لم تكن المسألة انها امرأة بالغة الجمال تريد ان
تستبقيني معها في الحديقة !

كان صوتها بالغ الرقة فيه رنين الأسى الشديد ، كأنها تعلم ما
سيحدث ، اعتقدت ان ما افكر فيه حماقة وادرت لها ظهري واصرعت
إلى داخل المنزل ، وادركت في تلك اللحظة اني كنت خائفاً منها ،
وأحسست بالراحة حين التقيت بأفراد أسرة لا وزووجدتني وجهاً لوجه
أمام استير .

تودد ديكى برهة ، ثم اردف يقول :

- لم يكن هناك أدنى شك انها سكنت قلبي منذ اللحظة الأولى .
ارتسمت في ذمى ما كفرلين صورة استير التي وصفها ديكى ذات
مرة بأنها .. الجمال اليهودي الكامل .. بقامتها المديدة وقتلتها
الطاغية وشعرها الأسود الغزير .. لم يندمش لأن ديكى استسلم دون
شروط ..

ثم قال ديكى :

- والذي حدث بعد ذلك اننا ارتبطنا بالخطوبة .
- في الحال ؟
- كلا . بعد حوالي الأسبوع ، ولم ينقض اسبوعان حتى اكتشفت
انها لا تهتم بي ..
ضحك ديكى ضحكة مريرة ..
ثم استرسل قائلاً :

- حدث ذلك في الليلة السابقة لرجوعي إلى سفيلتي القديمة ..

كنت اسلك الغابة في طريق هودتي من القرية حين رأيتهما ، اعني مسز هاورث .. وقفزت فزعا عند رؤيتها تضع فوق رأسها مندبلا أحمر .. وأنت تذكر إني رويت لك حلمي ، ومن ثم قدرك سبب فزعي .. سرنا معا نتحدث بعض الوقت ، وحينما اقتربنا من المنزل قالت لي : انت تتعجل الدخول .. لو أنني كنت مكانك ما تعجلت الدخول ..

أدركت في تلك اللحظة أن شيئا كريها في انتظاري ، وب مجرد دخولي اخبرني استير أنها اكتشفت إنها لا تحبني ..

وسأل ماكفرلين :

- وماذا بشأن المسز هاورث ؟

رد دكي :

- لم ارها قط قبل هذه الليلة .

- اليلة ؟

قال دكي :

- نعم .. رأيتهما امام باب مستشفى الدكتور جوني ، كالوا يريدون فحص ساقى التي اصببت في حادث اطلاق الطوربيسد ، والتي كنت أشكو منها خلال الفترة الأخيرة .. ونصحني الطبيب بإجراء عملية قائلا إنها عملية بسيطة ، وبينما كنت اغادر المكان اصطدمت بمرضة ترتدي مريلة حمراء فوق زيا الرسمي وقالت لي : لو اني كنت مكانك ما وافقت على إجراء العملية !

ثم اكتشفت انها المسز هاورث ، وانصرفت بسرعة قبل ان

استوقفها ، والتفت بمرضة اخرى سألتها عنها ، ولكنها اخبرتها انه
لا توجد في المستشفى ممرضة بهذا الاسم .. امر غريب .
سأله ماكفرلين :

- هل انت واثق من انها كانت المسز هاورث ؟
- نعم .. انت تعلم انها جميلة للغاية ، على اية حال انا سعيد لاني
حدثتك قبل ذلك عن قصة النجيرية ..

- ٢ -

توجه ماكفرلين نحو المنزل الذي يقع عند رأس 'التل' ، ثم ضغط على
زر الجرس ..

وحينما فتحت له خادمة الباب سأل :

- هل المسز هوارث بالمنزل ؟

- نعم يا سيدي ..

تركته الخادمة في غرفة فسيحة تطل على البراري ، وسمع صوتاً من
إحدى حجرات الدور العلوي يغني :

كانت المرأة النجيرية

التي تقيم في البراري ..

انقطع الغناء مرة واحدة ، واحس ماكفرلين ان دقائق قلبه تكاد
تتوقف ، ثم فتح باب الغرفة .

وتسمر ماكفرلين في مكانه وهو يتأمل ذلك الجمال الفتان ، كانت
يتوقع ان يرى غجيرية سمراء ، وتذكر وصف دكي لها . إنه جمال
فادر ، قل ان يوجد له نظير .. تلك هدوء اعصابه ، وتقدم

لحوما قائلا :

.. ربما لم نتعارف من قبل ، ورغم اني حصلت على عنوانك من لاوز ، إلا اني صديق لدكي كارينتر .

ظلت تتفحصه بنظراتها لمدة دقيقة او دقيقتين ، ثم قالت :

-- كنت على وشك الخروج إلى البراري ، هل تحب ان تصحبني ؟

فتحت الشرفة ، ثم خطت إلى الخارج وماكفرلين يتبعها .

ولاح رجلا بدينا تلوح عليه إمارات الغباء يدخن وهو جالس على احد المقاعد ، وقالت :

- زوجي ا سوف نذهب في تزهة قصيرة إلى البراري ، يا موريس .. وسوف يتناول المسافر مأكفرلين المشاء معنا بعد عودتنا ، اليس كذلك ا

وقال مأكفرلين :

- شكراً لك ا

وبينا كان يسير خلفها في البراري ، همس لنفسه : لماذا ، لماذا بحق السماء تزوج رجلا كهذا ا

شقت اليستير طريقها نحو بعض الصخور وهي تقول :

- سوف نجلس هناك .. وسوف تحدثني عما جئت لتقوله لي .

- هل تعرفين ؟

ردت مسر هوارث :

- اني اعلم دائما عندما تكون الأخبار السيئة في الطريق ، اليست اخباراً سيئة عن دكي ا

قال بأسف :

- اجريت له عملية جراحية بسيطة ، وتمت العملية بنجاح تام ،
ولكن يبدو ان قلبه كان ضعيفا لأنه توفي تحت تأثير المخدر .

وسمعها تتمم قائلة :

- مرة اخرى ، الانتظار ، فترة طويلة ، فترة طويلة .

ثم رفعت رأسها قائلة له :

- نعم ، ماذا كنت تنوي أن تقول ؟

رد ماكفرين :

- مجرد سؤال .. لقد حذرته احدا من اجراء هذه العملية ،

مرضاة ، وكان يعتقد انها أنت ، هل كنت أنت حقا ؟

هزت رأسها نفيا وهي تجيب :

- كلا .. لم اكن أنا ، ولكن ابنة هي مرضة ، ويمكن أن تبدو

شبيهة بي في الضوء الخافت ، ربما كانت هي التي رأها ، ما أهمية ذلك
على أي حال ؟

سكنت برهة ، ثم اتسمت عيناها فجأة وأخذت نفسا عميقا ..

ثم قالت :

- أوه .. كم هو مضحك إنك لا تفهم .

اعترت الحيرة ماكفرلين .

وكانت لا تزال تتفرس في وجهه قائلة ،

- كنت أعتقد أنك تفهم ، كان ينبغي أن تفهم ، إنك تبدو كأنك

تمتلكها أنت أيضاً .

- أمتلك أي شيء ؟

ردت المسز هوارت :

- العطية واللعنة معها ما شئت .. أعتقد أنك تمتلكها ، ركز نظراتك على ذلك التجويف في الصخور ، لا تفكر في أي شيء آخر ، آه . حسناً ، هل رأيت شيئاً .

- ربما كانت مجرد تخيل ، لقد رأيت التجويف لبرهة وجيزة ملوفاً بالدم .

أومات برأسها وهي تجيب :

- كنت أعرف أنك تمتلكها هذا هو المكان الذي يقدم فيه عبدة الشمس القرابين ، عرفت ذلك قبل أن يخبرني به أحد ، وتمر في أوقات اعلم فيها كيف كانت مشاعرم حول ذلك ، كأني كنت حاضرة معهم . من الطبيعي أن تكون لدي هذه الموهبة ، فكثيرون من افراد عائلتي لديهم القدرة على استطلاع الغيب ، وكانت امي ونيطة روحية حين تزوجها أبي .. كان اسمها كريستين ، وكانت لها شهرة واسعة .

وسأل ماكفرلين :

- هل تعنين بالعطية القدرة على التلبؤ بأشياء قبل حدوثها ..

- نعم ، بالنسبة للماضي والمستقبل على السواء ، وعلى سبيل المثال رأيتسك تنعجب وانت تسأل نفسك : لماذا تزوجت موريس .. آه ، نعم .. لقد فعلت ذلك ! السبب ببساطة انني كنت اعرف

أن شراً مستطيراً يقربص به ومن ثم أردت أن انقذه من ذلك الشر ،
هذا هو طبع النساء .

مع العطية التي امتلكها ، فقد تكون لدي القدرة على منع وقوع
ذلك الشر ، هذا إذا كان باستطاعة الانسان ان يفعل .

لم يكن باستطاعتي مساعدة دكي ، لأن دكي لم يستطع ان يفهم ،
كان خائفاً وكان صغيراً للغاية .

- كان في الثانية والعشرين من عمري .

- وأنا في الثلاثين ، ولكنني لم أقصد هذا . توجد طرق عديدة
لتقسيم الانسان بالطول والعرض والعمق .. ولكن أسوأ الطرق تقسيمه
بالزمن ..

أخلدت إلى الصمت فترة طويلة قبل ان تسمع قرع الجونج من
داخل المنزل إيذاناً بمحاول موعد الغداء .

وأثناء تناول الطعام اخذ ماكفرلين يراقب هوارث خفية ، وادرك
أنه يحب زوجته حباً جنونياً ، ولاحظ ماكفرلين أيضاً رقة استجابتها
للزوج ، واستأذن بعد تناول الغداء قائلاً :

- سأبقى في الحان لمدة يوم أو يومين ، هل استطيع ان آتي للزيارة
في الغد مرة اخرى ؟

- بالطبع ، ولكن !

سأل ماكفرلين :

- ولكن ماذا !

مرت بيدها بسرعة فوق عينيها وهي تقول :

- لا أدري ، كنت الخيل إتنا لن نلتقي مرة أخرى ، هذا كل ما في الأمر ، في رعاية الله .

سار ماكفرلين في الطريق على مهل ، واحس بالرغم منه بيد باردة تضغط بشدة على قلبه ..

ومرت سيارة مسرعة بجانبه ، وارتدى على السور في لحظة خاطفة ليتفادى السيارة ..

وعلت وجهه صفرة الموت .

مس ماكفرلين لنفسه وهو يستيقظ صباح اليوم التالي :

- يا إلهي ! إن أعصابي مضطربة للغاية ..

واستعرض في ذهنه الأحداث التي وقعت له بعد ظهر اليوم السابق ،
حادث السيارة المسرعة ، وتفكيره في اختصار الطريق أثناء عبوره
منطقة البراري ، ثم الضباب المفاجيء الذي هبط ونسيانه وجود
مستنقع خطر في الطريق .. ثم غطاء فوهة مدخنة الحان الذي سقط
فجأة ، ورائحة الاحتراق التي شمها خلال الليل التي اكتشف أنها
منبعثة من السجادة المشتعلة !

كل تلك الأحداث لا قيمة لها ! لا شيء فيها على الإطلاق ،
ولكن كلماتها ، ولهجة الثقة التي كانت تتحدث بها مما يؤكد له أنها
كانت تعرف .

أزاح الغطاء بنشاط مفاجيء .. سوف يكون أول شيء يفعله
هذا الصباح ان يذهب لمقابلتها ، فربما تسبب ذلك في التخلص من
اللعنة .. هذا إذا قدر له أن يصل سالماً .. يا إلهي ، كم كانت
إنساناً أحق !

تناول افطاراً خفيفاً ، وفي العاشرة كان يسير في الطريق ..
وفي منتصف الحادية عشرة كان يضغط بيده على جرس الباب ،
وقال للخادمة :

- هل المسز هاورث بالداخل ..

وقالت الخادمة التي يفيض وجهها بالأسى :

- أوه ! أنت لم تسمع بالنبأ إذاً يا سيدي ..

- اي نبأ ؟

- المس الـيستير .. الحمل الوديع .. كان سبب وفاتها الدواء المقوي
الذي تتناوله كل ليلة .. زوجها التمس يكاد يحزن ، فقد كان هو الذي
اعطاها الزجاجة الخاطئة ، أرسلوا للطبيب ولكنه وصل بعد فوات
الأوان ، طافت برأسه في الحال كلماتها : كنت اعلم دائماً ان شرأ
مستطيراً يخلق فوق رأسه .. ومن ثم اردت ان انقذه من ذلك الشر ،
هذا إذا كان باستطاعة الانسان ان يمنع القضاء .

آه . ولكن أحداً لا يستطيع ان يخدع القدر ، فقد دمرت موهبة
استطلاع الغيب من حيث كانت تريد المساعدة ..
واستسلمت الخادمة تقول :

- حملي الوديع المسكينة ! كانت شديدة الرقة ، وكان يسوؤها
أن ترى انساناً يواجه المتاعب ، لم تكن تتحمل آلام الآخرين .
ترددت الخادمة برهة ، ثم اردفت تقول :

- هل تحب ان تصعد لتراها يا سيدي ! اعتقد انك بما كانت تقوله
عنك ، صديق كان يعرفها منذ زمن طويل ، منذ زمن بعيد للغاية ،

هذا ما كانت تقوله .

تبع ماكفرلين الحسامة المعجوز وهي تصعد الدرج إلى غرفة تقع
فوق غرفة الاستقبال التي سمع منها صوت اليستير وهي تغني من قبل ،
وكان بالغرفة زجاج للنوافذ تعلوه بعض البقع بحيث يلقي ضوءاً أحمر
فوق السرير ، حيث ترقد غجرية تضع فوق رأسها منديلاً أحمر ..
تخريف ا

لا شك انه كان يتخيل ما لا وجود له ، والقي عليها نظرة
طويلة اخيرة .

- هناك سيدة ترغب في مقابلتك يا سيدي .
- فتطلع ماكفرلين إلى صاحبة المنزل وهو يقول لها يا ضطراب :
- عذراً يا مسز روز ، كنت أتحيل رؤية أشباح .
- أحقاً يا سيدي ؟ عادة ما يشاهد الإنسان في البراري أشياء غريبة بعد هبوط الظلام .. هناك الشابة البيضاء ، والحداد الشيطان ، والبحار والفجيرية .
- ماذا تقولين ؟ البحار والفجيرية ..
- هكذا سمعتهن يقولون ، كانت قصة مشهورة في أيام طفولتي .
- لا يدهشني أن تسمعي المزيد من تلك القصص الآن .
- يا الهي ! يا لها من أشياء تلك التي تتحدث عنها .. هل تدور القصة حول تلك الشابة ؟
- أية شابة ؟
- الشابة التي ترغب في مقابلتك ، إنها في غرفة الجلوس ، المس لاوز . هذا هو الاسم الذي ذكرته .
- أوه ..

راشيل . أحس بشعور غريب مختلف عن كل المشاعر التي كانت
يحس بها منذ قليل ، لقد كان يحوم في عالم آخر ونسي كل شيء عن
راشيل ، لأن راشيل تنتمي إلى هذا العالم وحده .

فتح باب غرفة الجلوس لتطالع راشيل بعينيها اللتين تشع منهما
البراءة والاخلاص ، وفجأة كالرجل الذي يقيق من حلم ، أحس بوجه
عاصفة من الفرحة تغمره .. إنه حي ، إنه على قيد الحياة .

وهمس بصوت خافت :

- راشيل ا

ورفع ذقنها ليطبع على شفتيها قبلة حارة .

المصباح

كان المنزل عتيقاً تفوح منه رائحة الماضي ، وكانت تسري في غرفه وردمائه وقاعاته برودة ، وكانت منازل المنطقة كلها تمت إلى الماضي ، ولكن رقم ١٩ كان أكثرهما قدماً وبرودة .

لو أن بيتاً كهذا كان يوجد في أي مدينة أخرى لقبل إنه مسكون ، إلا أن المنزل رقم ١٩ لم يطلق عليه قط أنه مسكون ، ورغم هذا فقد ظلت تعلق عليه ، عاماً بعد عام ، لافتة تقول إن المنزل معروض للايجار أو البيع .

نظرت المسز لانكستر إلى المنزل بارتياح وهي تسير مع السمسار ، الثمار ، الذي كانت على وجهه إمارات الفرحة الطاغية ، لأن المنزل قدور له أخيراً أن يشطب من دفاتره .

وقالت مسز لانكستر :

- منذ متى ظل المنزل خالياً ؟

اضطرب المستر راديش قليلا ، ثم قال متلعثما :

- منذ .. منذ بعض الوقت .

وقالت المسز لانكستر يحفاف :

- هذا ما تخيلته .

كانت الصلاة ذات الضوء الخافت باردة ، ولو أن سيدة أخرى تجولت فيها لسرت البرودة في جسدها . ولكن هذه السيدة كانت عملية للغاية ، كانت طويلة ذات شعر بني يميل إلى السواد ، بدأت الشعيرات الرمادية لتسلل إليه ، وعيناها زرقاوان هادئتان .

واستمرت المسز لانكستر في جولتها لتشاهد الغرف المقامة في السطح ، وحين انتهت من جولتها عادت إلى إحدى الغرف التي تطل على الميدان وواجهت السمسار بعزم قائلة :

- ما هي قصة هذا المنزل ؟

فوجيء المستر راديش بالسؤال ، وقال بعد برهة :

- كل البيوت تكون كثيفة بعض الشيء عندما تكون عسارية من الأثاث .

وقالت المسز لانكستر :

- عجبا .. إيجار المنزل منخفض للغاية ، إيجار اسمي ، ولا بد أن يكون لذلك سبب ، هل المنزل مسكون ؟

ارتعد المستر راديش ولم يقل شيئا ، ورمقته المسز لانكستر بنظرة حادة ، ثم قالت :

- مسألة الأشباح عبت على أي حال ، فإنا لا أؤمن بالأشباح أو بأشياء

من هذا القبيل ، وإن يكون ذلك سبباً لترك المنزل ، ولكن الخدم لسوء الحظ يؤمنون بهذه الخرافات ويرتعدون خوفاً ، لهذا أطلب منك أن تخبرني بالقصة الحقيقية ، ما هو الشيء المفروض أنه ينتاب هذا المسكن ؟

وقال السمسار متلعثماً :

- أنا في الواقع لا أعرف .

ردت المسز لانكستر يهدوء :

- انا واثقة من انك تعلم ، ولا أستطيع استئجار المنزل دون ان

اعرف الحقيقة ، ماذا كان السبب .. جريمة قتل ؟

وصاح المسز رادريش بانفعال :

- أوه .. كلا ، كان مجرد طفل .

- طفل ؟

- نعم . وتابع قائلاً :

- لا أعرف القصة على وجه التحديد ، فالروايات كثيرة ، ولكنني

سمعت أن رجلاً يدعى ويليامز استأجر المنزل منذ ثلاثين عاماً ، لم يكن أحد يعلم شيئاً عن ماضيه .. كانت يقيم وحده في المنزل دون خدم ، ولم يكن له أصدقاء ، وقد كان يغادر المنزل أثناء النهار ، وكان له طفل وحيد ، طفل صغير .

وبعد حوالي الشهرين من إقامته في المنزل ، ذهب إلى لندن ، وما كاد يصل إلى العاصمة حتى تم التعرف عليه باعتباره مجرمًا قطارده الشرطة ، ويبدو أن جرمه كان خطيراً ، لأنه بدلاً من تسليم نفسه ، أطلق الرصاص على نفسه

وفي نفس الوقت كانت لدى الطفل لا الذي يقيم وحده في المنزل ، كمية محدودة من الطعام ، وظل الطفل ينتظر رجوع أبيه يوماً بعد يوم ، ولسوء حظه كانت التعليمات الصادرة له من أبيه ألا يفادر المنزل مهما كانت الظروف ، أو يتحدث مع أي إنسان ، وكان المخلوق الصغير ضعيفاً ، معتل الصحة ، ولم يكن باستطاعته أن يخالف أوامر أبيه ، وكانت الجيران يسمعون الطفل اثناء الليل يبكي بكاءً حاراً حتى يتفطر قلبه .

سكت المستر راديش قليلاً ، ثم استأنف حديثه قائلاً :

- والذي حدث ان الطفل مات من الجوع .

قال السمسار ذلك كمن يعلن عن بدء سقوط المطر .

وسألت مسز لانكستر :

- والمفروض أن شبح الطفل هو الذي يسكن المنزل .

تردد المستر راديش برهة قبل أن يقول :

- لا شيء يرى في المنزل ، يقول الناس انهم يسمعون فقط بكاء الطفل .

تحركت المسز لانكستر نحو الباب الأمامي قائلة :

- إني أميل إلى هذا المنزل ، ولن احصل على أفضل منه بهذا

الايحار ، سأفكر في الأمر ، ثم أعاود الاتصال بك .

قالت المسز لانكستر وهي تدير بصرها في المكان باعجاب :

- ألا يبدو المنزل يهيجاً يا أبي .

تم فرش المنزل بالآلات اللامع والسجاجيد ذات الألوان الزاهية ،
فتغير مظهره بشكل واضح ..

كانت مسز لانكستر توجه حديثها إلى رجل هجوز متهدل الكتفين
تتألق في عينيه نظرات غامضة .. كان المسار وينبورن مختلفاً تمام
الاختلاف عن ابنته ، فقد كان خيالياً ، بعكس ابنته الواقعية ..

وقال لها باسم :

- نعم .. لم يكن أحد يحلم بالاقامة في منزل مسكون !

- بابا ، لا تقل هذا العبث وفي اليوم الأول .

ابتسم المسار وينبورن وقال :

- حسناً يا عزيزتي .. سوف نتفق على أنه لا توجد أشياء مثل
الأشباح .

- أرجوك ألا تقول شيئاً من هذا أمام جيوف ، فهو ذوقه على
في الخيال .

كان جيوف هو الابن الصغير للمسار لانكستر ، وكانت العائلة تتكون
من المسار وينبورن ، وابنته الأرملة وجيوفري

بدأت قطرات المطر تتساقط على النافذة - بياتر بياتر .. بياتر بياتر .
وقال المسار وينبورن معلقاً على الصوت :

- هل تسمعين ؟ ليس الصوت مشابهاً لوقع خطوات شخص
صغير ؟

قالت المسز لانكستر باسمة :

- بل هو صوت المطر .

قال الأب وهو يرفف اذنيه :

- ولكن هذا صوت خطوات .

اعتدلت المسز لانكستر قائلة :

- هذا وقع أقدام جيوفري وهو يهبط الدرج .

اضطر المسز وينبورن إلى أن يشاركها الضحك ، كما يتناولان الشاي في الصالة ، وكان يدير ظهره للسلم ، وقد استدار في تلك اللحظة ليواجه السلم ..

كان جيوفري الصغير الصغير يهبط درجات السلم يبطء وخطوات منتظمة ، يحذر الطفل الذي يتعامل مع مكان جديد ، وكانت درجات السلم من خشب البلوط المارية من السجاد .

يهبط الصبي ليقف يحوار أمه ، وبينما كان الصبي يخطو على أرض الصالة ، شفق المسز وينبورن بإرتياح ، فقد سمع بوضوح وقع خطوات طفل يهبط الدرج ، كأن شخصاً يتبع جيوفري ، وهو يحير ساقبه جراً ..

وهز المسز وينبورن كتفيه وهو يقول في دهشة :

- ربما كان صوت المطر ..

وقال الصبي لأمه :

- أريد ان اقلدك هذا الكمك .

سارعت الأم لتلبية رغبة ابنها ثم سألته باهتمام ،

- حسناً يا بني ، هل تحب البيت الجديد ؟

وقال جيوفري وفه ممتلئ بالطعام :

- أحبه جداً جداً .

انتظر الصبي برهة حتى يمتلئ الطعام ، ثم تابع يقول ،

- أوه يا مامي .. توجد غرف كثيرة بالسطح ، وتقول مربيتي جين

إني استكشفتها ، وربما عثرت على باب سري .. تقول جين أنه لا توجد

أبواب سحرية ، ولكنني أعتقد اني سأعثر على واحد ، على أية حال

أعلم أنه توجد في السطح مواسير كثيرة ، مواسير مياه ، وبوسمي أن

العب بها ، وهل أستطيع أن أشاهد الغلاية ؟

وقالت المسز لانكستر :

- سنفكر يا عزيزي في أمر غرف السطح غداً ، ما رأيك الآن

في أن نلهم بلعبة الكعبات ، وتبني لنفسك بيتاً أو آلة ؟

وقال له جده :

- ما رأيك في بناء غلاية .

أشرق وجه جيوفري وقال :

- أصنعها بالمواسير .

- نعم ، بعدد كبير من المواسير .

انصرف الصبي مسرعاً ليلعب عن اللعبة ، كان المطر لا يزال يتساقط

أرهم المسار وينبورن أذنيه ، نعم .. ربما كان الصوت لقطرات المطر ،

ومع هذا فهو يسمع وقع أقدام بوضوح .

حلم المعجوز بحلم غريب في تلك الليلة ، حلم أنه يمشي في مدينة

ضخمة ، ولكنها مدينة أطفال ، كل سكانها من الأطفال ، ورأى جميع الأطفال في الحلم يندفعون نحو الغريب القادم صائحين : هل أحضرته معك ؟ وكان يبدو أنه يفهم ما يقصدونه ، وهز رأسه في أسف ، وعندما رآه الأطفال أداروا له ظهورهم وهم يبكون بكاءً مرأً .

بهتت صورة المدينة والأطفال ، واستيقظ المعجوز ليجسد نفسه في سريره ، ولكن نشيج الأطفال كان لا يزال يرن في أذنيه ، ورغم أنه كان في كامل وعيه ، إلا أن أصوات البكاء كانت مسموعة بوضوح ، وتذكر الجد أن جيوفري ينام في الطابق الأرضي تحته ، في حين كان صوت البكاء الذي يسمعه صادراً من أعلى .

جلس الجد في سريره وأشعل عوداً من الثقاب ، وانقطع البكاء في الحال .

لم يرو المسر وينبورن لابنته الحلم الذي رآه أو الصوت الذي سمعه في أعقاب الحلم ، فربما كان قد تخيل ذلك ، إلا أنه سمع صوت البكاء مرة ثانية أثناء النهار .

كانت الرياح تصفع المدخنة ، ولكن ذلك كان صوتاً منفصلاً عن صوت بكاء مريّر لطفل يتفطر قلبه من الأسى .

اكتشف كذلك أنه ليس الشخص الوحيد الذي يسمع الصوت . فقد سمع الخادمة تقول للوصيفة : لا أعتقد أن في قلب المربية فرة من الحنات ، لأنني سمعت السيد جيوفري يبكي بكاءً مرأً هذا الصباح .

وكان الصبي قد وصل ليتناول الافطار في أحسن صحة ، وهو متهلل

الأساري ، وكانت المتر وينبورن يعلم أن البكاء لم يكن صادراً عن جيوفري ، وإنما عن ذلك الطفل الآخر الذي يحرق ساقيه جراً ، والذي فزع الجدد لدى سماعه وقع أقدام في المرة الأولى .

كانت المسز لانكستر وحدها التي لا تسمع شيئاً ، وربما لم تكن أذناها مهيأتين لسماع الأصوات الصادرة من العالم الآخر ، ورغم هذا فقد تلقت بدورها صدمة عندما جاءها جيوفري يقول :
- مامي ، أريد منك أن تسمعي لي باللعب مع الولد الصغير .

رفعت الأم رأسها باسمه لتقول له :

- اي ولد صغير يا حبيبي ؟

- لا اعلم ما اسمه ، كان في إحدى غرف السطح يبكي وهو جالس على الأرض ، ولكنه ولي هارباً عندما رأيته ، أعتقد أنه خجل مني (قال ذلك باحتقار) : لا يتصرف كالأطفال الكبار .

ومرة ثانية ، بينما كنت في غرفتي مشغولاً بلعي ، رأيته واقفاً بالقرب من باب حجرتي يراقبني وأنا أقيم منزلاً ، وكان يبدو عليه الشعور بالوحدة الموحشة كأنه يرغب في اللعب معي ، وقلت له :
تعال واشترك معي في بناء آلة ، ولكنه لم يفعل شيئاً ، واكتفى بالنظر اليّ ، كأنه يرى كبة كبيرة من الشيكولاتة ، وقد طلبت منه أمه ألا يلمسها .

تهدد جيوفري وهو يسترجع تلك الذكريات الأليمة ..

ثم أردف يقول :

- ولكنني عندما سألت جين عن يكون ذلك الطفل ، وأخبرتها

إنني أرغب في اللعب معه ، أخبرتني أنه لا يوجد طفل صغير في المنزل ، وطلبت مني ألا أردد هذه القصص السخيفة ، انني لا أحب جين أبداً .

نهضت المسز لانكستر وهي تقول :

- لقد كانت جين على حق .. لا يوجد طفل صغير في هذا المنزل غيرك .

فقال الطفل :

- ولكنني رأيته .. أوه يا مامي .. ارجوك أن تسمح لي باللعب معه ، فهو يبدو وحيداً تماماً ، إنني أريد أن أفعل شيئاً لأبدد أحزانه .

كانت المسز لانكستر على وشك أن تقول شيئاً ، ولكن أباهما مز رأسه وقال للطفل برقة زائدة :

- جيو فري .. يا عزيزي ، ذلك الولد الصغير يعاني من الوحدة ، وربما كان باستطاعتك أن تفعل شيئاً لتخفف من آلامه ، وإنما يجب عليك أن تكتشف الوسيلة بنفسك - كما تفعل بالنسبة للفز ، هل فهمت قصدي ؟

فقال الطفل مستهتماً :

- هل السبب لأنني كبرت ، ولا بد أن أفعل كل شيء بنفسني ؟
- نعم ، لأنك كبرت .

عندما انصرف الطفل من الغرفة ، أدارت المسز لانكستر رأسها نحو أبيها وقالت بنفاد صبر :

- بابا ، هذا اقترح سخياف ، ان تشجع الولد على الايمان بصدق ما
تقوله الخادمآ من قصص سخيفة .

وأجابها المعجوز قائلاً برقة :

لم تخبره الخادمآ بشيء على الاطلاق ، لقد رأى بعينه ما سمعته
اذناني ، وما كان باستطاعتي أن أراه لو انني كنت في مثل عمره .

قالت المسز لانكسار :

- ولكن هذا تخريف ، لماذا لا اسمع انا او أرى ؟

ابتسم المسز وينبور ابتسامة ملل ، ولم يقل شيئاً ..

وعادت ابنته تسأله :

- لماذا ؟ ولماذا قلت له أن باستطاعته أن يساعد ذلك الطفل ؟

الأمر كله يبدو مستحيلاً .

نظر اليها الرجل المعجوز مفكراً ، ثم قال :

- لماذا لا يستطيع ؟ هل تذكرين كلمات القصيدة التي تقول :

أي مصباح في يد القدر يملكه

كي يرشد الأطفال الصغار الذين يتعمثون في الظلام ؟

أجابت السماء قائلة : بالفهم الأعمى !

يملك جيوفري هذا الفهم الأعمى ، يمتلك كل الأطفال هذه الملكة
وكلما كبرنا فقدنا هذه الخاصية ، ويحدث في بعض الأحيان ، عندما
يتقدم بنا العمر ، أن يعود اليها بصيص من هذه الملكة ، ولكن المصباح
يزداد اشتعالاً وهو في طفولته ، هذا هو السيب الذي يحملني أتصور
أن جيوفري قادر على المساعدة .

وتمت المسز لانكستر قائلة بضعف :

- إني لا افهم .

- كذلك أنا أيضاً .. ذلك الطفل يواجه المتاعب ويريد أن يتحرر منها ، ولكن كيف ؟ لا أدري ، ولكنه أمر مريع أن يفكر الانسان في الموضوع .. موضوع ذلك الطفل الذي يتمزق قلبه من شدة البكاء .

* * *

أصيب جيوفري بمرض شديد بعد انقضاء شهر على ذلك الحوار ، كانت الرياح الشرقية بالغة العنف ، ولم تكن بنية الطفل قوية ، وهز الطبيب رأسه في أسى عندما اكتشف خطورة الحالة ، وقد صرح المسز وينبورن في غياب الأم بأن الحالة ميثوس منها تماماً ، وقال له : لم يكن من المقدر لهذا الطفل أن يعيش حتى يكبر تحت ظل أي ظرف . وأضاف إلى ذلك قوله : فقد كان يعاني من مرض خطير في الرئة منذ وقت طويل .

بدأت المسز لانكستر تحس بوجود الطفل الآخر أثناء قيامها بتمريض ابنها ، وكان من الصعب في البداية تمييز بكاء الطفل من صوت الريح ، ولكنه أخذ مع مرور الوقت يزداد وضوحاً بشكل لا يمكن أن تخطئه الأذن .

وأخيراً بدأت تسمع البكاء في لحظات الصمت التام : نشيج طفل يتمزق قلبه من الأسى .

ازدادت حالة جيوفري تدهوراً ، وكان يتحدث أثناء فترات سباته العميق عن : الولد الصغير ، ويكرر ذلك المرة بعد الأخرى ، ثم يصبح قائلاً :

- إنني أرغب في مساعدته ، أريد أن أساعده !

كانت تعقب فترات السبات العميق حالة من الصعوبة ، حيث يلزم جيوفري السكون وأنفاسه تتردد بصعوبة ، ولم يكن أمام الأم سوى أن تنتظر في صبر ، حتى جاءت ليلة يحجم فيها السكون والهدوء التامين بحيث لا تهب نسمة واحدة من الهواء ، وتقلل الطفل في رقدته وفتح عينيه ، وتجاوزت نظراته أمه إلى الباب المفتوح ، وحاول أن يتكلم ، وانحنت الأم فوقه لتلتقط الكلمات الخافتة ، كان الطفل يقول هامساً : حسناً .. إني قادم ..

ثم سكنت حركة الطفل ، وأصيبت الأم بفزع شديد ، وعبرت الغرفة إلى الركن الذي يجلس فيه أبوها ، وسمعت صوت ضحكة تم عن الفرح أطلقها الطفل الآخر .. ضحكة تعبر عن الارتياح والنصر ، وتردد صدى الضحكة في الغرفة ..

وصاحت الأم قائلة بارتياح :

- إني خائفة .. إني خائفة !

لف الأب ذراعه حولها لحمايتها ، وهبت نسمة مفاجئة من الهواء بسرعة ، ثم لف الصمت الغرفة مرة أخرى ..

انقطع الضحك ، ثم بدأ يتسلل صوت خافت لا يكاد يسمع لم يلبث أن ازداد وضوحاً .. صوت أقدام تدب على الأرض وهي تبتعد بسرعة

عن المكان .

بيتر باتر .. بياتر باتر .. كان صوت وقع تلك الأقدام تجري ،
ولكن - دون أدنى شك - يتبعها في هذه المرة وقع أقدام أخرى
قتنرك بصورة أسرع .

قفز المجوز وابنته متجهين نحو الباب .. وصمما وقع الأقدام تهبط
الدرج .. وقع أقدام الطفلين معا ..

نظرت المسز لانكسار إلى أبيها قائلة بحدة :

- إنها وقع أقدام طفلين !

انجذبت الأم والفرع في عينيها نحو سرير الطفل ، ولكن أباهما منعها
برفق ، واستمعا إلى الصوت .. بياتر باتر .. بياتر باتر .. وأخذ الصوت
يزداد خفوتا ، ثم خيم الصمت مرة أخرى ..

المدياع

قال الدكتور مينديل باللهجة التي تعود ان يتحدث بها كل الأطباء :
تجنبي أولاً وقبل كل شيء القلق والتوتر العصبي ..

لم تطمئن المسز هارتر لسماها تلك العبارة بقدر ما ازدادت شكوكها ،
وأردف الطبيب يقول :

— يوجد بعض الضعف في القلب ، ولكنني أستطيع ان اؤكد
لك انه لا يوجد ثمة مبرر للقلق ، ولكنني أوصي في نفس الوقت بتركيب
مصعد ، ما رأيك في هذا ؟

ازداد قلق المسز هارتر ، بينمازايد مرور الطبيب الذي كان يفضل
التعامل مع الأغنياء ، حتى يمارس هوايته في وصف أكثر اشكال
العلاج غرابة ..

وتابع الطبيب يقول :
— نعم .. مصعد حتى نتجنب أي لون من الازهاق ، كما أوصي

ببعض التمرينات الرياضية الخفيفة ، وتجنب صعود التلال ، وأهم من ذلك كله الترويح الذهني ، لا ترهقي صحتك .

كان الطبيب أكثر صراحة مع ابن أخيه - شارلز ريدجواي - عندما انفرد به حيث قال له :

- لا تسوء فهمي .. قد تعيش عمرك أعواماً طويلة ، وهذا هو المرجح .. ولكنها أمام أي صدمة قد تنتهي في غمضة عين ، لهذا يجب أن تحيا حياة هادئة دون ارتباك أو تعب ، ويجب أن توفر لها جواً من المرح والتسلية .

مس شارلز ريدجواي مفكراً : التسلية ..

مس شارلز ريدجواي لنفسه مفكراً : التسلية ..

كان شارلز شاباً ذا عقلية مفكرة ، وكان يؤمن في نفس الوقت بتمنية مواهبه كلما استطاع ذلك .

واقترح شارلز في نفس المساء على عمته تركيب مذيع في المنزل ، ورغم أن مزاج مسز هارتر كان منحرفاً لفكرة المصعد ، فإن شارلز طاردها بالحاحه وقدرته على الاقتناع .

واعترضت عمته قائلة :

- إنني لا أكرث بهذه الاختراعات الحديثة ، الموجات .. أنت تعلم الموجات الكهربائية ، ربما أثرت في ..

أخذ شارلز يحبذ هذه الفكرة ، إلا أنها ظلت على عدم اقتناعها ، وقتئذ تقول :

- الكهرياء .. تستطيع أن تقول ما تريد يا شارلز . إلا أنت
بعض الأشخاص يتأثرون بالكهرياء .. كان الصداح يتتابني دائماً أمام
العاصفة الرعدية .

- لم ييأس وقال :

- عمي العزيزة ماري دعيني أزيد لك الأمر إيضاحاً .
كانت له خبرة في الموضوع الذي يتحدث عنه ، والقى عليها محاضرة
طويلة مروجاً للفكرة ، متحدثاً عن المفاتيح اللامعة والمصامات والذبذبات
العالية والمنخفضة وتكبير الصوت المكثف ، وأحست مسز هارتر بأنها
تفرق في سيل من الكلمات التي لا تفهمها ، واضطرت في النهاية على
الموافقة فائلة :

- بالتأكيد .. إذا كنت تعتقد .

- يا عمي العزيزة ماري .. إنه الشيء المناسب لك تماماً ، حتى إنه
يسليك ولا تشعرني بالملل .

تم تركيب المصعد الذي أوصى به الطبيب بعد فترة وجيزة ، رغم
أن مسز هارتر كانت لا ترحب بدخول أي رجل غريب إلى المنزل خوفاً
على طقم أدوات المائدة الفضي القديم .

وسرعان ما أضيف إلى المنزل جهاز الراديو بمفاتيحه الكثيرة التي
ظلت المسز هارتر ترمقها بارتياح وتردد .

أدار شارلز مفتاح المذياع وعمرته تنظر إلى الصندوق الضخم بعدم الارتياح
وقال الشاب :

- استمعي يا عمه ماري .. نحن الآن في برلين .. اليس هذا رائعاً ؟

ألا تسمعين صوت الفقى ؟

- إني لا أسمع سوى أزيز وخشخشة .

استمر الشاب في إدارة المفاتيح ، ثم قال بجهام :

- بروكسل .

وصاحت المسز هارتر باستياء :

- يبدو إننا انتقلنا إلى بيت الكلاب !

وقال شارلز ضاحكاً :

- ها ها ! تستطيعين الآن أن تمزحي كما تشائين يا عمه مساري ..

أليست هذه نتيجة طيبة ؟



لم تستطع المسز هارتر سوى الابتسام ، فقد كانت مولعة بابن أخيها وكانت تعيش معها قبل ذلك لبضع سنوات ابنة أخ تدعى ميريام هارتر ، وكان في نيتها أن توصي بكل ثروتها لها ، إلا أن ميريام فشلت في إرضائها ، فقد كانت عصبية غير راضية عن الحياة التي تعيشها عندها وكانت تكرر الخروج ، ثم تعرفت في النهاية على شاب ، ولم ترض العمه عن هذه العلاقة .

وأعادت مسز هارتر ابنة أخيها إلى أمها مع رسالة كأنها طردت من البضائع ، وتزوجت ميريام الشاب الذي أحبته ، وأرسلت لها عندها علبة مناديل ومنضدة صغيرة للشاي ..

وعندما وجدت المسز هارتر بنات الاخوة غير مناسبات ، التجهت نحو أبناء الاخوة ، وأحرز شارلز نجاحاً منقطع النظير منذ قدومه للعيش مع عمته ، فقد كان مرحاً يصغي باهتمام إلى كل كلمة تقولها عمته على خلاف ميريام التي كانت تمل الاستماع إلى حديث عمتها .

وكان الشاب يكرر في اليوم الواحد قوله إن أحاديث عمته بمتعة لا يمل الانسان من سماعها ، وبذا استطاع أن يكسب عطف عمته .. وكتبت المسز هارتر لحاميتها تعليقات كي يغير الوصية ، وأرسل لها الحامي الوصية الجديدة التي وقعتها راضية ..

أثبت شارلز بالمذايع الذي أضافه للبيت أنه كسب أرضاً جديدة ، فبعد الموقف الرافض للمسز مارتر من الجهاز الجديد في البداية ، أصبحت مفتونة بالمذايع ، وكانت تستمتع به خاصة عندما يكون شارلز في الخارج ، لأنه أثناء وجوده لم يكن يترك مفاتيح الجهاز لحظة واحدة ، أما عندما تكون العمة ماري وحدها ، فهي تجلس في هدوء لتستمع إلى سيمفونية أو محاضرة ، وهي في قمة السعادة .

وقع أول حادث بعد ثلاثة شهور من وصول الجهاز .. كان الشاب خارج المنزل يلعب البريدج مع بعض أصدقائه ، وبينما كانت المسز هارتر تستمع إلى مغنية السوبرانو . آني لوري .. وتوقف الصوت فجأة مع استمرار الأزيز ، ثم لم يلبث الأزيز أن توقف بدوره وخيم الصمت التام ، وأعقب ذلك بعض الأزيز الذي لم تجدد له المسز هارتر تعليلاً ، ثم طرق سمعها صوت واضح . صوت رجل يتحدث ولكنها إيرلاندية يقول :

- ماري - هل تسمعين صوتي يا ماري ؟ أأنا باتريك .. سوف
آتي لزيارتك في القريب العاجل ، هل ستكونين مستعدة لاستقبالي
يا ماري ؟

انقطع الصوت .. وفجأة عادت أغنية آني لوري قدوي في أرجاء
الفرقة ..

تسمرت المسز ماري في مكانها .. هل كانت تحلم ؟ باتريك ! صوت
باتريك ! باتريك يتحدث إليها ؟ لا شك أنها كانت تحلم .. ربما كانت
تهلوس ، لا شك . إنها غفلت لمدة دقيقة أو دقيقتين ، ولكن يا له من
حلم أن تستمع إلى صوت زوجها من العالم الآخر ، ارتعدت قليلاً وهي
تهمس لنفسها : ما هي الكلمات التي كان يقولها .. سأتي لزيارتك في
القريب العاجل ، هل ستكونين مستعدة لاستقبالي يا ماري ؟

أهو تحذير سابق ؟

هل هو ضعف القلب بسبب تقدمها في العمر ؟

قالت المسز هارتر محدثة نفسها وهي تغادر مقعدها :

- إنه تحذير . لقد أضعت الكثير من المال في شراء المصعد .

لم تحدث أحداً بشأن التجربة التي مرت بها ، إلا أنها ظلت مبلبة
الخاطر خلال اليومين التاليين ..

ثم جاءت المناسبة الثانية ، كانت وحدها للمرة الثانية ، وبينما الأذاعة
تقدم معزوفة موسيقية .. توقفت الموسيقى ، ثم جاء صوت من بعيد ..
صوت غريب كأنه صادر من عالم آخر يقول :

.. باتريك يتحدث اليك يا ماري .. سأتي لرؤيتك في القريب العاجل

يا مساري ..

توقف الصوت ، وتلاه أزيز لبرهة قصيرة ، ثم عادت الموسيقى من جديد .

تطلعت المسز هارتر إلى ساعة الحائط .. كلا .. إنها واثقة من أنها لم تكن نائمة في هذه المرة ، ولقد سمعت صوت باتريك بوضوح . كانت واثقة من أنها ليست هالوسة ..

وأجهدت ذهنها في تذكر ما قاله شارلز عن نظرية الموجات الأثيرية .

هل يمكن أن يكون باتريك هو المتكلم حقاً ؟

هل استغل قدرة الأجهزة العلمية الحديثة ليلفحها رسالته على أمواج الاثير ؟

استدعت المسز هارتر خادمتها اليزابيث ، وهي سيده ضخمه في الستين من عمرها ، تحمل في قلبها قدراً كبيراً من الحب لخدمتها .

وقالت المسز هارتر :

- اليزابيث .. هل تذكرين ما قلته لك من قبل ؟ الدرج العلوي في الجانب الايسر من مكتبي .. إنه مغلق بالمفتاح وأنت تعرفين مكانه هل كل شيء معد ؟

- معد لاي شيء يا سيدتي ؟

- بلنازتي .. أنت تفهمين جيداً ما أعنيه يا اليزابيث ، لقد ساعدتني بنفسك في وضع الاشياء .

عبست اليزابيث وقالت مولولة :

- أوه يا سيدتي .. اطردي هذه الافكار من خييلتك ، إنني أراك في أفضل صحة .

وقالت المسز هارتر بطريقة عملية :

- كل واحد منا سيرحل ذات يوم ، فقد بلغت أرذل العمر يا اليزابيث . كفي عن البكاء ، او ابجثي لك هن مكان آخر تبكين فيه .

انسحبت اليزابيث وهي لا تكف عن البكاء ..

ومست مسز هارتر لنفسها :

- عجوز حقاء ولكنها غلصة .. غلصة للغاية .. هل أوصيت لها بخمسين جنيهًا ، أم مائة ؟ يجب ان اترك لها مائة لانها خدمتني فترة طويلة .

ظلت مشغولة البال بتلك المسألة ، وكتبت رسالة في اليوم التالي إلى المحامي تطلب منه أن يعيد لها الوصية لتلقي عليها نظره أخرى .

وفاجأها شارلز في اليوم التالي أثناء الغداء بقوله :

- بهذه المناسبة يا عمي ماري .. من ذاك العجوز المضحك الذي يوجد في الغرفة الاضافية ؟ أعني صوره العجوز ذي اللحية الكثنة ؟

نظرت اليه العمة بصرامة قائلة :

- هذا عمك باتريك أيها الشاب !

- أوه .. اعرب لك عن بالغ أسفي .. لم اكن أعلم أن الصورة له ..

قبلت العمة الاعتذار بتأفف ..

وقال الشاب في تردد :

- إني أعجب .. في الواقع ..

وتوقف عن الكلام ..

وصاحت المسز هارمر قائلة بأنفعال :

- حسناً .. ماذا كنت تريد أن تقول ؟

- لا شيء .. ربما لم يكن الامر يستحق الحديث

- يجب أن تخبرني يا شارلز عن السبب الذي دفعك إلى الحديث

عن صورة عمك ؟

بدا الارتباك على شارلز وقال :

- لقد اخبرتك يا عمي ، إنها مجرد خيالات .. خيالات سخيفة .

وقالت العمة باصرار :

- شارلز . إني أصر على سماع رد على سؤالي ا

- سأخبرك ما دمت تصرين ، خيل إليّ إني رأيته .. الرجل في

الصورة .. كان يتطلع من النافذة لحظة وصولي في الليلة الماضية ، ربما

كان ذلك انعكاس الضوء .. تساءلت : من يكون هذا الرجل ؟ كانت

يبدو لي شخصاً ينتمي إلى المصور الماضية ، وعندما استفسرت من

اليزابيث اخبرتني أنه لا يوجد ضيوف أو غرباء في المنزل ..

وتصادف أن ذهبت في ساعة متأخرة من الليل إلى الغرفة الخالية

ورأيت الصورة المعلقة على الحائط ، وفوجئت بأنها صورة الرجل الذي

رأيته ! أعتقد أن تفسير ذلك سهل .. إنه العقل اللاواعي .. لا شك

إني لحت الصورة من قبل دون أن أدرك ذلك ، ثم تخيلت بعد ذلك

الوجه الذي رأيته في النافذه .

قالت المسز هارتر بغيظ :

- النافذه التي تقع في طرف المنزل ؟

- نعم .. لماذا ؟

قالت المسز هارتر بشروء :

- لا شيء ..

لكنها لم تستطع أن تخفي قلقها ، فقد كانت تلك الغرفة ، غرفة
ملابس زوجها ..

* * *

كان شارلز متغيباً عن المنزل تلك الليلة أيضاً ، بينما تجلس مسز
هارتر تصني إلى الراديو ، حين انقطع الارسال لتسمع إلى ذاك الصوت
الغريب القادم من العالم الآخر يقول :

- ماري .. أنت مستعدة الآن لاستقبالي ، سوف آتي يوم الجمعة ،
الجمعة في التاسعة والنصف .. لا تخافي فلن شعري بأدنى ألم ..
كوني مستعدة .

عادت الموسيقى بعد انتهاء الصوت مباشرة ..

وظلت المسز هارتر جالسة في مكانها ساكنة بعض الوقت ، وقد
امتقع وجهها وأحست يحفاف في حلقها ، ثم توجهت في هدوء إلى مكتبها
لنكتب السطور التالية :

« اليلة في تمام الساعة التاسعة والربع .. سمعت صوت زوجي بوضوح ، أخبرني أنه سيأتي في منتصف العاشرة من مساء الجمعة القادم ، وإذا تصادف إني مت في ذاك اليوم ، وتلك الساعة ، فلني أحب أن تذاع هذه الحقائق لاثبات امكانية اتصال الأرواح بنا من العالم الآخر ..

ماري هارتر

أعادت المسز هارتر قراءة ما كتبتة ، ووضعت الرسالة في مظروف كتبت عليه عنواناً معيناً ، ثم دقت الجرس لستدعي اليزابيث ، وحين جاءت الخادمة مسرعة ، سلمتها بخدومتها الرسالة قائلة :
- اليزابيث .. إذا كان مقدراً لي أن أموت مساء الجمعة القادم ، أرجوك أن تسلمي هذه الرسالة للدكتور ميليل .

حاولت الخادمة الاعتراض ، ولكن بخدومتها استرسلت قائلة :
- لا تجادليني .. سبق أن قلت بنفسك أنك تؤمنين برسائل التحذير لقد تلقيت الآن رسالة تحذير .. وهناك أمر آخر ، تركت لك في وصيتي خمسين جنيهاً ، وأحب أن أزيد المبلغ إلى مائة ، وإذا لم أتمكن من الذهاب بنفسني إلى البنك قبل موتني ، على المستر شارلز أن يتولى هذه المهمة .

وكا حدث من قبل ، طلبت مسز هارتر من خادمتها أن تكف عن البكاء ، وتنفيذاً لخطتها ، فاتحت شارلز في الموضوع صباح اليوم التالي قائلة :

- تذكر جيداً يا شارلز ، إذا حدث لي أي شيء ، يجب أن تحصل

اليزابيث على خمسين جنبها أخرى .

وقال لها شارلز بابتهاج :

- اراك مكتئبة في هذه الأيام يا عمي ، ما الذي سيحدث لك ؟
ووفقاً لما قرره الدكتور مينيل ستعيشين عشرين عاماً أخرى حتى تحتفلي
ببلوغك المائة عام .

ابتسمت المسز هارمر ولم تقل شيئاً .

وانتظرت دقيقة قبل ان تقول :

- ماذا ستفعل مساء الجمعة يا شارلز ؟

بدت الدهشة على وجه شارلز وهو يقول :

- دعاني أوهجز للعب ، ولكن إذا أحببت أن ابقى معك .

قاطمته العمة قائلة باصرار :

- كلا .. كلا ، بالتأكيد يا عزيزي .. إني أحب ان اكون وحدي

في تلك الليلة .

رمقها الشاب بدهشة ، ولكن المسز هارمر لم تقدم له تفسيراً مقبولاً

فقد كانت سيدة عجوزاً صلبة الرأي ، وقد كانت تريد ان تجتاز

التجربة وحدها .

* * *

كان المنزل غارقاً في السكون التام مساء الجمعة ، وجلست المسز هارمر

كمعادتها أمام المدفأة وقد اعدت الترتيبات اللازمة لمواجهة الموقف ،

ذهبت إلى البنك في الصباح وسحبت خمسين جنيهًا سلحتها اليزابيث متجاهلة اعتراضها ودموعها .. وجمعت كل متعلقاتها ووضعت بطاقات على بعض قطع المجوهرات بأسماء الأقارب والأصدقاء الذين أوصت لهم بها ، كما كتبت قائمة بتعليماتها لشارلز .

ألفت نظرة أخيرة على المظروف الطويل الذي تمسكه في يدها .. كانت تلك الوصية التي سارسلها للمسر هوبكنسون مصحوبة بتعليماتها .. ورغم أنها قرأتها قبل ذلك مراراً ، إلا أنها أعادت قراءتها لتنعمش ذاكرتها ..

تركزت خمسين جنيهًا لـ «اليزابيث مارشال» ، تقديرًا لتفانيها في الخدمة وأوصت بخمسمائة جنيه لكل من شقيقتها وابن عم لها ، وبقية ثروتها لابن عمها العزيز شارلز ريدجواي .

هزت المسر هارتر رأسها في رضى .. سوف يصبح شارلز رجلاً رزياً بعد موتها ، فقد كان ولداً باراً بها ، شديد العطف عليها ، يعمل كل ما في وسعه لارضائها .

تطلعت إلى ساعة الحائط .. بقيت ثلاث دقائق قبل أن تعلن الساعة منتصف العاشرة ..

حسنًا .. أنا مستعدة الآن .. وهي هادئة الأعصاب تمامًا ، ورغم أنها كانت تكرر على نفسها تلك الكلمات مرات عديدة ، إلا أن دقات قلبها كانت تزداد عنفاً ، وأعصابها تزداد توتراً مع مرور كل ثانية .

التاسعة والنصف .. جهاز الراديو مفتوح ..

ماذا تحب أن تسمع ؟ الشجرة الجوية أم صوت الرجل الذي رحل
من هذا العالم منذ ربع قرن ؟

لكنها لم تسمع هذا- أو ذاك . وسمعت بدلاً من ذلك صوتاً مألوفاً
صوتاً تعرفه جيداً ولكنه يبعث الليلة في جسمها احساساً بالبرودة ،
كان يداً مثلجة توضع فوق قلبها ، وسمعت صوت انسان يدلف من الباب
الأمامي للمنزل ..

تكرر الصوت مرة ثانية ، وأحست بنسمة من الهواء البارد تعصف
بالحجرة ..

لم يداخلها اي شك في طبيعة الأحاسيس التي تشعر بها في تلك
اللحظة .. تسرب الخوف إلى قلبها .. إنها أكثر من خائفة .. إنها
مذهورة ..

تطرق إلى ذهنها فجاء فكرة غريبة :
خمس وعشرون عاماً تعتبر زمناً طويلاً .. لقد أصبح باتريك قريباً
عني الآن ..
الفرح ! كان ذلك هو الاحساس الذي يملكها ..

وقع خطوات خارج الباب .. صوت الخطوات يتوقف ، ثم بدأ
الباب يفتح في هدوء ..

هبت المسز هارتر واقفة وهي تترنح من جانب الى جانب وعيناها
مركزتان على فتحة الباب ، وسقط شيء من يدها في فتحة المدفأة ..
حاولت ان تصرخ ، ولكن الصرخة ماتت على شفيتها ، كان يقف
في فتحة الباب شكل مألوف بلحيته الكثنة وحلته المتينة ..

فقد جاء اليها باتريك !

دق قلبها دقة واحدة عنيفة .. ثم توقف قلبها عن الحركة ، وسقطت على الأرض ..

عثر عليها اليزابيث بعد ساعة ، واستدعت على عجل دكتور ميليل وشارلز ريدجواي الذي كان يلعب البريدج مع أصدقائه ، إلا الوقت كان قد فات لتقديم أي معونة للعمه العجوز .

انقضى يومان على وفاء المسز هارتر قبل ان تتذكر اليزابيث الرسالة التي سلمتها لها مخدمتها .

وقرأ الدكتور ميليل الرسالة باهتمام بالغ ، واطلع شارلز على الرسالة قائلا :

— مصادفة بالغة الغرابة .. ويبدو أن عمك كانت تمهوس وتغفل أنها تسمع صوت زوجها الراحل ، ولا بد أن أعصابها بلغت حداً كبيراً من التوتر ، حتى إذا حل الموعد الذي تخيلته كانت الصدمة شديده ومسيبت لها الوفاة .

وقال شارلز :

— الایحاء الذاتي ؟

اجاب الدكتور ميليل :

— شيء من هذا القبيل ، سوف أخبرك بنتيجة التشريح في أسرع وقت ممكن رغم أن الشك لا يساورني ، ومن الأفضل تشريح الجثة في مثل هذه الظروف رغم أنه مجرد اجراء شكلي !

هز شارلز رأسه مؤمناً ..

انتهر شارلز فرصة نوم الخدم في الليلة السابقة ووضع سلكاً معيناً كان يصل بين جهاز الراديو وبين غرفته التي تقع في الطابق العلوي .
وحيث ان الليلة كانت شديدة البرد فقد طلب من اليزابيث ان تشمل نار المدفأة في غرفته ، وحرق في تلك النار اللحية الكثنة والسوالف الكبيرة ، وأعاد الى الصندوق الكبير ، الموضوع في غرفة السطح الملابس التي كانت لعمه الراحل .

كان على ثقة من أنه بعيد عن الشبهات تماماً ..

لقد نبتت الخطة في ذهنه عندما سمع الدكتور ميليل يخبره أن عمته قد تعيش سنوات ، ولكن صدمة مفاجئة يمكن أن تقضي عليها في غمضة عين .

عندما انصرف الطبيب ، مضى شارلز يؤدي واجباته بطريقة آلية ، كان عليه ان يعد الترتيبات اللازمة للجنائز ، واستدعاء الأقارب الذين يقيمون في مناطق بعيدة ، ولا بد من تدير اماكن اقامتهم بعد تشييع الجنائز .

تولى شارلز كل هذه الأمور ببراعة ودقة ..

همس لنفسه :

- يا لها من ضربة موفقة ! لم يكن احد يدري - حتى عمته - أي موقف خطير يواجهه .. فقد كان مفروضاً للسجن والخراب ما لم يستطع خلال شهور قليلة ان يدبر قدراً كبيراً من المال .

وقد تم له الآن ما كان يسمى اليه ، ولم يكن التدبير الذي أعده
عملاً إجرامياً ، كانت مجرد مزحة ، وقد أنقذته من الخراب ، لقد
أصبح رجلاً قوياً ..

لم يكن يساوره القلق لأن عمته لم تكن تخفي نواياها وقد صارحته
بأنه الوريث الوحيد لمعظم ثروتها .
بينما كان شارلز يسعد بهذه الخواطر ، جاءت اليزابيث لتخبره أن
المستر هوبكنسون يرغب في مقابلته .

رسم شارلز على وجهه مظاهر الحزن ، وذهب إلى المكتب ليسي
الرجل المعجوز الذي كان المستشار القانوني للمزرع هارتر خلال ربع
القرن الأخير ..

جلس المحامي بناء على إشارة شارلز ، وبعد أن تمنح قال :
- إنني لم أفهم تماماً ما يعنيه خطابك لي يا مستر ريديجواي ..
يبدو أنك تتصور أن وصية المزرع هارتر في حوزتي ..

حلق شارل في وجهه مدهوشاً وهو يقول :
- ولكنني سمعت عمي تردد ذلك أكثر من مرة .
- أوه . تماماً .. تماماً كنت احتفظ بالوصية .
- كنت ؟

- هذا هو ما قلته .. غير أن المزرع هارتر طلبت مني يوم الثلاثاء
الماضي أن أرسل لها الوصية .

تسرب القلق إلى قلب شارلز ..
بينما أردف المحامي يقول :

- سوف تظهر الوصية بين أوراق الراحة ..
لم يقل شارلز شيئاً ، كان يخشى أن يخونه لسانه ، فقد قام بفحص
جميع الأوراق التي تركتها عمته دون أن يعثر على أي وصية بينها ..
وعندما استعاد هدوء أعصابه .. قال أنه بحث جميع أوراق عمته ،
وقال الهامي :

- هل عثت أي إنسان بمقتلياتها الشخصية ؟
أجاب شارلز بأن اليزابيث هي التي فعلت ذلك !
وعندئذ أرسل الهامي في طلب الخادمة التي جاءت على الفور
لتجيب على الأسئلة الموجهة إليها ، واعترفت بأنها فحصت كل ملابس
سيدتها ومقتلياتها الشخصية ، ولكنها واثقة من أنها لم تعثر على أي
مستندات قانونية ، وإنما تعرف جيداً شكل الوصية ، لأن سيدتها
كانت تمسكها بين يديها في صباح اليوم الذي توفيت فيه .

وقال الهامي بحدة :
- هل انت واثقة من ذلك ؟
- نعم يا سيدي .. هكذا أخبرني سيدي ، و أعطني خمسين جنيهًا ،
كانت الوصية داخل مظروف أزرق طويل .
قال المستر هوبكنسون :

- هذا صحيح .
وقالت اليزابيث :
- إنني أتذكر الآن .. فقد عثرت على ذلك المظروف صباح اليوم
التالي فارغاً ، وقد وضعته فوق المكتب .

وأضاف شارلز معقبا :

- أذكر أنني رأيته هناك .

وقف شارلز واتجه نحو المكتب ، وعاد بعد قليل يحمل المظروف الأزرق وسلمه للمستر هوبكنسون ..

فحص الهامي المظروف ، ثم هز رأسه قائلا :

- هذا نفس المظروف الذي وضعت فيه الوصية يوم الثلاثاء الماضي .

تطلع كل من الرجلين إلى اليزابيث التي قالت بأدب :

- هل تطلب مني شيئا آخر يا سيدي ؟

- كلا ليس في الوقت الحاضر ، شكراً لك .

انجبت الخادمة نحو الباب ، ولكن الهامي استوقفها بقوله :

- لحظة واحدة .. هل كانت نيران المدفأة مشتعلة في تلك الليلة ؟

- نعم يا سيدي ، نار المدفأة مشتعلة دائماً .

- شكراً لك .. يكفي هذا .

انصرفت الخادمة ، وقال شارلز للهامي :

- ما رأيك الآن ؟

هز الهامي رأسه قائلا :

- سوف نتعلق بأمل ظهور الوصية ، وفي حالة عدم ظهورها .

- حسناً .. ماذا يحدث إذا لم تظهر الوصية ؟

أجاب الهامي :

- أخشى أن أخبرك انه لا يوجد سوى استنتاج واحد محتمل ..

طلبت عماتك الوصية لتقدمها ، وخوفاً من أن تخسر اليزابيث نصيبها ،

فقد اعطتها نصيبها نقداً !

وصاح شارلز قائلاً يوحشية :

- ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

- ألم يحدث خلاف بينك وبين عمك يا مسترريدجواي ؟

شوق شارلز وهو يقول :

- كلا .. فقد كنا على وفاق تام ، منذ البداية وحتى آخر لحظة !

وقال المستر هوبكنسون دون أن ينظر إليه :

- آه !

خيل لشارلز ان الهامي لا يصدق ، من يدري فلعل ذلك المعجوز قد سمع بعض الاشاعات عن المتاعب المالية التي يواجهها ، ومن يدري فلعل نفس الاشاعات بلغت مسامع عمته ، وإنها فكرت في تغيير الوصية ..

ولكن شارلز واثق من أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، فقد صدق الجميع اكاذيبه .. يا لسخرية القدر !

لم تحرق عمته الوصية بالتأكيد .. هذا ما تطرق إلى بآله .. وتوقفت أفكاره فجأة ..

ما تلك الصورة التي ترسم أمام عينيه ؟

سيدة عجوز تضغط بإحدى يديها على قلبها .. ثم ينزلق شيء من يدها .. ورقة .. تسقط الورقة فوق اللهييب المشتعل في المدفأة .

شعب وجه شارلز .. وسمع صوتاً مبهوحاً - صوته - يسأل : إذا لم يتم العثور على تلك الوصية ؟

هناك الوصية السابقة للسز هارتر المؤرخة سبتمبر ١٩٢٠ .. تترك
العمة بموجب هذه الوصية كل ثروتها لمiriam هارتر ، التي تعرف الآن
باسم ميريام روبلسون .

عس لنفسه :

-- ماذا يقول هذا المحامي المعجوز المخرف ؟ ميريام هارتر .. هل يذهب
قل ما خطط له ذكاؤه إلى ميريام !

دوى في تلك اللحظة رنين جرس التليفون .. ورفع شارلز السجاعة
ليطالعه صوت الدكتور مينيل الذي قال له برقة :

-- أهذا أنت يا ريدجواي ؟ ظننت أنك تريد ان تعرف نتيجة
التشريح الذي انتهى منذ لحظات .. سبب الوفاة هو نفس ما خنته ،
إلا أن التشريح أثبت أن مرض القلب كان أخطر مما فتصور ، فلم يكن
مقدراً لها أن تعيش أكثر من شهرين ، ربما كانت هذه الأخبار تعزيك
بعض الشيء ..

قال شارلز :

-- هل تسمح ان تكرر ما قلته مرة أخرى ؟

قال الطبيب بصوت أكثر ارتفاعاً :

-- لم يكن مقدراً لها ان تعيش أكثر من شهرين .

أعاد السجاعة إلى مكانها بعنف ، وخيل إليه أنه يسمع صوت المحامي
يأتي من مكان بعيد :

-- يا عزيزي السيد ريدجواي .. هل أنت مريض ؟

فليذهب الجميع إلى الجحيم ..
المهامي المعجوز بوجهه الكره ا
وذلك الطيب الحار ميليل ا فلم يعد أمامه بصيص من الأمل ،
فشبح السجن يابح له من بعيد .
أحسن بأن شخصاً يتلاعب به كما يلعب القط بالفأر ا
وأن شخصاً لا بد يضحك ساخراً منه ..

حكاية السير آرثر كارمايكل الغريبة

مستقاة من مذكرات الراحل

دكتور افوار كارستيرز

عالم الطبيعة المشهور

انني على وعي كامل بأنه توجد طريقتان مختلفتان للنظر إلى الأحداث الغريبة والمحنة التي سوف أروها ، ولكن رأيي الشخصي لا يتزعزع ، وقد اقتنعت بضرورة كتابة القصة كاملة ، وأنا أعزو الأحداث الغريبة التي يصعب تفسيرها إلى العلم الذي يحتم عرضها للدراسة .

تبدأ القصة ببرقية تلقيتها من صديقي دكتور ميتل .
وفيا عدا اسم كار مايكل فلم تكن البرقية واضحة ، ونزولاً على رغبة صديقي ركبت قطار الساعة ١٢،٢٠ من بادنجتون إلى وولست في هيرفوردشاير .

لم يكن اسم كارمايكل غريباً عني ، فقد كانت تربطني معرفة

بسيطة بالسير ويليام كارمايكل الراحل ، ورغم إني لم التق به خلال
الأحد عشر عاماً الماضية ، وكنت أعرف أن له ابناً هو البارون الحالي ،
المفروض أنه يبلغ الآن من العمر حوالي ٢٣ عاماً ، وأذكر اني سمعت
بعض الإشاعات التي تقول إن السير ويليام تزوج للمرة الثانية ، ولكنني
لم أكن أذكر شيئاً محدداً سوى شعور غامض نحو الزوجة الثانية .

قابطني ستيل في المحطة ، ورحب بي قائلاً :

- كان لطفاً منك ان تحضرا .

- إنني مصر على معرفة كافة الحقائق .

- إنه أمر لا يخص آرثر .. إنه يتعلق بالـ المنزل .

وكررت في دهشة :

- المنزل ؟

- لك تجارب عديدة في هذا الشأن يا كارستيز . أعني البيوت

السكونية بالأشباح .. ما رأيك بهذا الموضوع ؟

- في تسع حالات من كل عشر يكون الأمر دجلاً . ولكن الحالة

العائرة . حسناً . إنها تدخل في الظواهر التي يصعب تفسيرها من وجهة

النظر المادية ، ومع هذا فأنا ممن يؤمنون بالسحر .

هز ستيل رأسه مؤمناً ، وكنا قد اقتربنا من أبواب حديقة القصر

عندما أشار لي صديقي بسوطه نحو قصر أبيض صغير يقع على جانب

التل ، وقال :

- هذا هو المكان ، ويوجد شيء غامض في ذلك القصر .. شيء

فظيع .. كلنا نحس به ، ولكنني لست ممن يؤمنون بالخرافات .

- أي شكل يتخذه ذلك الغموط ؟
- أفضل أن تكتشف ذلك بنفسك حتى لا تكون متحيزاً لرأيي .
- هذا أفضل ، ولكنني أكون أكثر سعادة لو أنك زودتني بمعلومات
أوفر عن العائلة .

- زوج سير ويليام مرتين ، وآرثر هو ابنه من الزوجة الأولى ..
زوج مرة ثانية منذ تسع سنوات ، والليدي كارمايكل ؟
نقلنا الحقائق إلى عربة يحرها الحصان ، وأخذنا طريقنا نحو وولدن
التي تقع على مسافة ثلاثة أميال من المحطة ..

ثم انفجر ستيل قائلاً :
- لا يوجد تفسير معقول ، فهذا شاب في الثالثة والعشرين من
عمره .. لا أستطيع أن أقول أنه يتميز بذكاء خارق ، ولكنه كشاب
ينتمي للطبقة العليا الإنجليزية يعتبر متميزاً وفي صحة جيدة .. والغريب
في الأمر أنه يذهب ذات ليلة إلى فراشه ، ثم يستيقظ صباح اليوم التالي
شبه مجنون ، يتجول في القرية غير قادر على معرفة أقرب وأجيب
الناس إليه !

وقلت في دمشق :
- آه ! حالة فقدان كلي للذاكرة ؟ ومتى حدث ذلك ؟
- صباح أمس .. التاسع من أغسطس .
- ألم تكن هناك صدمة عصبية أو شيء من هذا القبيل ؟
- ليس بالمرّة .. هل افهم أن الموضوع يدخل في دائرة اختصاصي ؟
- إلى حد كبير .

- إذا فهمي قضية اختلال عقلي ؟
داخطني شك مفاجيء ، وقلت له :
- هل تخفي عني بعض الحقائق ؟
- كلا .. كلا ..

أكد لي تردده صدق شكوكي ، وقلت له :
- أريد أن أعرف من هي تلك السيدة ؟
تردد سليل قليلاً ، ثم استرسل يقول :

- أنا شخصياً أحس بالنفور من تلك السيدة وأحس بأن وراءها سر
غامضاً .. حسناً .. نعود إلى قصتنا .. أنجب السير ويليام من زوجته
الثانية ولداً آخر يبلغ الآن الثامنة من عمره .. مات السير ويليام منذ
ثلاث سنوات ، وورث آرو اللقب والمكان ، واستمرت زوجة أبيه وابنها
في العيش معه ..

أحب أن أقول لك إن الضيعة في حالة يرثى لها ، وأن دخل السير
أرو لا يكاد يكفي لتغطية النفقات ، وقد ترك السير أرو لزوجته دخلاً
سنوياً لا يتعدى بضع مئات ، ولكن أرو لحسن الحظ كان على علاقة
طيبة بزوجة أبيه ورحب بمعيشتها معه .. والآن !

- نعم ؟

- خطب أرو منذ شهرين فتاة جميلة .. المس فيليس باترسون ،
وكان المفروض أن يتم الزواج في الشهر المقبل .. والفتاة تقم الآن في
القصر ، ولك ان تتصور مدى حزنها .

أحنيت رأسي في صمت ، كنا نقرب من القصر ، وكانت المروج الخضراء

على يميننا تخدر برفق ، وطالعتنا فجأة صورة فاتنة ، شابة تعبر المروج
في طريقها إلى القصر ..

كانت عارية الرأس ، وتنعكس أشعة الشمس على شعرها الذهبي
الذهبي لتزيده توهجاً ، كانت تحمل سلة مملوءة بالورود ، وتتمسح في قدميها
قطعة فارسية اللون .

التفت نحو ستيل مستفسراً ، فقال :

- هذه هي المس باترسون .

- يا للسكينة ، يا لها من صورة رائعة ترسمها مع ورودها وقطعتها
الرمادية ..

سمعت شهقة صديقي ، والتفت نحوه بسرعة لأرى العنان قد أفلت
من بين أصابعه ، وكان وجهه ممتعماً ، فسألته :

- ما بك ؟

تمالك ستيل هدوء اعصابه وقال :

- لا شيء .. لا شيء !

بلغنا القصر بعد لحظات ، وقبعت صديقي إلى غرفة الجلوس حيث
كان يعد الشاي على المنضدة ، واستقبلتني الليدي كارمايكل مرحبة .
وقال ستيل :

- ليدي كارمايكل .. صديقي الدكتور كارستيرز .

لا استطيع ان افسر سر نفوري من الأرملة الجميلة التي استقبلتني
بترحيب شديد ، وتذكرت إشارة ستيل إلى الدم الشرقي الذي يجري
في عروقها .

وقالت الليدي بصوت ناعم :
- كان لطفاً منك أن تفكر في الحضور يا دكتور وان تحاول مساعدتنا
في محنتنا المظيمة .

تناولت قدح الشاي الذي قدمته في صمت ، ورأيت بعد دقائق الصبية
الحسنة التي رأيناها في المروج خارج الغرفة ، وكانت لا تزال تحمل
سلة الورد ، غير أن القطعة لم تكن معها .
وقام ستيل بواجبات التعارف .

وقالت الصبية الحسنة :

- الدكتور كارستيزز .. قال الدكتور ستيل الشيء الكثير عنك ..
لدي احساس بأنك سوف تتمكن من مساعدة أرثر المسكين .

كانت المس باترسون شابة رائعة الجمال رغم شعوب خديها ، والدوائر
السوداء التي تحيط بعينيها ، وقالت لها مطمئناً :
- ارجو ألا تستسلمي لليأس يا عزيزتي ، فعالات فقدان الذاكرة ،
او ازدواج الشخصية لا تستمر طويلاً ، وقد يسترد المريض صحته بين
دقيقة وأخرى .

هزت الصبية رأسها وهي تقول :

- لا أصدق ان هذه حالة ازدواج للشخصية .. ليس هذا هو أرثر
بالمرة ، ليست هذه شخصيته ..

وقد حلت الليدي في الحديث قائلة :

- يا عزيزتي فيليس .. تناول قدح الشاي ..
أدركت من نظرة ليدي كارمايكل للفتاة أنها لا تميل اليها ، ورفضت
المس باترسون قبول قدح الشاي ، وسألتها :

- الآن تقدمي طبقاً من اللبن لقطتك ؟

رمقتني الصبية بدهشة وهي تقول :

- القطعة ١٢

- القطعة التي كانت ترافقك منذ لحظات في الحديقة .

فوجئت بارتطام شيء بالأرض ، واكتشفت أن الليدي كارمايكل
أسقطت براد الشاي ، وانسكب الماء الساخن فوق الأرض ، عالجتها
الأمر بسرعة .

والنفقت فيليس لموسكيل بعيون متسائلة .. ووقف ستيل قائلاً لي :
- ألا تحب أن تلقي الآن نظرة على مريضك ؟

تبسمته في الحال ، ورافقتهما المس باترسون ، صعدنا الدرج ، بينما أخرج
ستيل مفتاحاً من جيبه قائلاً :
- تنتابه الرغبة في بعض الأحيان للتجول ، لهذا أخلق الباب عندما
أكون خارج المنزل !

فتح لنا الباب ودخلنا ، وكان الشاب يجلس على مقعد يحوار النافذة
حيث كانت قلل أشعة الشمس الفاربية .

كان الشاب يجلس في منتهى الهدوء وقد استرخت كل عضلات
جسمه ، وخيل إليّ في البداية أنه غير متلبه لوجودنا ، حتى فطنت
إلى أنه يراقبنا خلسة ، وخفض بصره عندما التقت عيناه بعيني ، ورمش
بعينه ، ولكنه لم يتحرك .

وقال له ستيل بمرح :

- انتبه يا آرثر .. لقد جاءت المس باترسون وأحد أصدقائي

لزيارتك .

لم يتملأ الشاب في جلسته ، رغم أني لاحظت بعد قليل أنه يخالسننا النظرات ، وقال له ستيل :

— هل تريد قدحاً من الشاي ؟

وضع ستيل على المنضدة كوباً من اللبن ، ورمقت صدبتي بدهشة .
وابتسم ستيل ، ثم قال :

— شيء غريب .. اللبن هو الشراب الوحيد الذي يلمسه .

بعد قليل ، ودون تعجل ، نهض السير أرثر بتثاقل وسار نحو المنضدة ببطء ، ولاحظت فجأة أن حركاته تَم دون حدوث صوت ، وعندما بلغ المنضدة مدد جسمه ، ووضع إحدى ساقيه أمامه والأخرى خلف جسمه ، ثم قشاهب ..

لم أرَ في حياتي انساناً يتشاهب بتلك الطريقة ، ثم ركز انتباهه على اللبن ، وأحنى رأسه حتى لمست شفتاه السائل ..

أجاب ستيل على نظرتي بقوله :

— لا يستخدم يديه على الإطلاق .. يبدو أنه ارتد إلى طبيعة الانسان البدائي .. اليس هذا غريباً ؟

أحسست بفيليس باترسون تنكش وهي تلتصق به ، ووضعت يدي على ذراعها لأهدئها ..

انتهى الشاب من لفق اللبن ، ثم مدد ارثر كارمايكل جسده مرة أخرى ، ثم عاد بنفس الخطى البطيئة دون أحداث صوت إلى مقعده يحوار النافذة ، ثم كوّر جسمه وهو ينظر إلينا في صمت .

قادتنا المس باترسون إلى الخارج وكل جسدها يرتعد ، وقالت بأسي :
- بربك يا دكتور كارستيزز .. ليس هذا أرثر . ذلك الشيء المكور
ليس أرثر .

مززت رأسي بحزن قائلاً لها :
- يستطيع العقل البشري أن يلعب حيلة غريبة يا مس باترسون .
اعترف اني شعرت بالحيرة ازاء هذه الحالة الغريبة ، ورغم أنه لم يسبق
لي أن رأيت أرثر قبل ان تنتابه هذه الحالة الغريبة في طريقة المشي
والطرف بعينه ، إلا أنه ذكرني بالإنسان أو شيء ، لا يستطيع
أن احدهه !

ساد الهدوء أثناء تناول العشاء ، وعندما انسحبت السيدات سألتني
ستيل عن رأيي في مضيفتي ، فأجبته قائلاً :
- يجب أن اعترف لك انني أحس لهما بنفور لا أستطيع أن
أعله .. أنت بحق من حيث انها من اصل شرقي ، ويجب أن اعترف
أيضاً أنها تملك قوة سحرية غامضة .. إنها امرأة ذات قوى مغناطيسية
طاغية .

كان ستيل على وشك أن يقول شيئاً ، ولكنه تراجع ..
ثم قال أخيراً :

- إنها مولعة أشد الولع بابنتها الصغير !
وبينا كنا نجلس في غرفة الجلوس الخضراء بعد العشاء ، وانتهينا من
شرب القهوة ، ونحن نتحدث في مختلف الموضوعات سمعت صوت مواء
القطعة خارج الباب كأنها تتوسل كي يفتح لها أحدهم الباب ، ولكن أحداً

لم يكثرث بها ، وحيث اني أحب الحيوانات ، فقد نهضت من مكاني قائلاً
للبيدي كار ما يكل :

- هل أسمح للسكينة بالدخول ؟
امتقع وجهها بشكل ظاهر ، ولكنها أومأت لي برأسها .
توجهت إلى الباب وفتحته ، ولكنني لم أجد شيئاً في الخارج ، فقلت :
- أمر غريب . أستطيع ان اقسم اني سمعت مواء القطه !
وبينما كنت أعود إلى مقعدي ، لاحظت ان الجميع يراقبونني عن
كثب ، وداخلني احساس بعدم الارتياح ، وذهبنا للنوم في وقت مبكر ،
وصحبنني ستيل إلى غرفتي ، ثم قال لي :

- هل حصلت على كل ما تريده ؟
- نعم .. شكراً لك . : بهذه المناسبة ، سبق أن اخبرتني أن في
هذا المنزل شيئاً غير طبيعي ، ورغم هذا فالمنزل يبدو طبيعياً .
- هل تستطيع ان تقول انه يبيج ؟
- كلا . فالحزن يظله في الظروف الراهنة .
وقال ستيل باقتضاب :
- طابث ليلتك وأتمنى لك احلاماً سعيدة .

وقد حلت بالفعل .. حلت بالقطه البائسة ، واستيقظت من نومي
مفزوعاً ، وأدركت فجأة سبب تفكيري في القطه ، فقد كانت القطه
تموء خارج الباب ، ولم يكن باستطاعتي أن انام والمواء مستمر .
اشعلت شمعة وتوجهت نحو الباب ، ولكن المر خارج الباب كان
خالياً .. وطرأت على ذهني فكرة ، قد تكون القطه محبوسة في

مكان ما ..

كانت نهاية المرح تقع إلى اليسار حيث توجد غرفة نوم ليدي كارمايكل ، لذا انجذبت يميناً ، وما كدت أخطو بضع خطوات حتى انقطع المواء ، ثم سمعته خلفي ، فاستدريت بحدة لأسمع الصوت من جديد بوضوح عن يميني .

احسنت برعدة تسري في بدني ، ربما لمرور تيار هوائي ، وعدت إلى غرفتي .. وعاد الهدوء مرة أخرى ، ومرعان ما استغرقت في النوم حتى الصباح .

* * *

بينما كنت ارتدي ثيابي ، لحقت من النافذة الشيء الذي تسبب في ازعاجي اثناء الليل ، كانت القطعة الرمادية تزحف ببطء على الحشائش ، وخيل اليّ انها تريد ان تهاجم قطعياً من الطيور الصغيرة ، ثم حدث بعد ذلك شيء غريب ..

فقد رأيت القطعة تسير بين الطيور ويكاد شعرها يلمسها ، فلم تفرح الطيور ، ولم استطع ان افهم ما يحدث ، او اجده له تعليلًا مقبولاً ، وظل الموضوع يشغل بالي لدرجة انني اضطررت إلى ذكر هذه الواقعة اثناء تناول الافطار ، وقلت لليدي كارمايكل :

- هل تعلمين ان لديك قطعة غير طبيعية ؟

سمعت صوت احتكاك قدح الشاي بالطبق بين يدي فيلبس باترسون

ورأيت شفتيها ترتجفان وانفاسها تتلاحق بسرعة وهي تمهلقي في وجهي بشدة ، وخيم الصمت برهة ، ثم قالت ليدي كارمايكل بضيق :
- اعتقد انك غطيت ، لأن لا توجد قطة في المنزل . ولم تكن
لدي قطة قط .

اعتراني الارتباك وحاولت تغيير دقة الحديث بسرعة وانا في دهشة
اسأل نفسي :

- لماذا صرحت ليدي كارمايكل بعدم وجود قطة في المنزل ؟ هل
هي قطة المس باترسون ولا تعلم ربة المنزل شيئاً عنها ؟ وربما تكون
ليدي كارمايكل من المعادين للقطط ..

* * *

كانت حالة المريض على ما هي عليه ، واجريت له في هذه المرة
فحصاً كاملاً ، واستطعت أن أدرس حالته عن قرب ، وبناء على اقتراحي
اتخذت الترتيبات كي يقضي المريض معظم أوقاته مع افراد الأسرة ،
وكنيت اهدف من وراء ذلك إلى مراقبة الشاب عن كثب دون أن
يفطن ، وعسى أن يوقظ روتين الحياة اليومية في نفسه بعض الذكريات ،
إلا أن سلوكه ظل دون تغيير .

كان الشاب هادئاً مسالماً وكان يظهر احتراماً شديداً لزوجته أبيه ،
أما بالنسبة للمس باترسون فقد كان يتجاهلها تماماً ، إلا أنه كان
كثير الحرص على الجلوس في أقرب مكان من الليدي كارمايكل ورأيت

مرة مسح رأسه في كتفها
شعرت بالقلق أمام هذه الحالة ، وكنت واثقاً أن وراء المسألة
سراً لا اتبينه ، وقلت لستيل :
- هذه حالة كثيرة الغرابة .

وقال ستيل :
- ألا تذكر هذه الحالة بشيء معين ؟
ذكرتني هذه الكلمات بالأفكار التي طافت برأسي في اليوم السابق .
كان الغموض يحيط بالمسألة كلها ، فهناك موضوع القطعة الرمادية ، والحلم
الذي رأيته ..

وفهبت إلى الخادم لأستفسر منه ، فسأله :
- هل تستطيع أن تخبرني شيئاً عن القطعة التي أراها ؟
وقال الخادم بأدب :
- القطعة يا سيدي ؟
- أ.. ألم يكن هناك قطعة ؟
- كان لدى الليدي قطعة .. قطعة كبيرة .. كان لا بد من التخلص
منها للأسف الشديد ، كانت حيواناً جميلاً يا سيدي .
وسأله ببطء :

- هل كانت رمادية اللون ؟
- نعم يا سيدي !
- هل انت واثق أنه تم قتل القطعة ؟
- كل الثقة يا سيدي لم تشأ الليدي أن ترسلها للطبيب البيطري

وفعلت ذلك بنفسها .. كان ذلك منذ اسبوع ، والقطعة مدفونة تحت شجرة خشب الزان الكبيرة .

فكرت بعد انصراف الخادم عن سبب تأكيد الليدي كار مايكل انه لم يكن يوجد قط قطعة في المنزل ..

وعندما التقيت بستيل سألته :

- ستيل .. اريد أن أوجه اليك سؤالاً . هل رأيت أو سمعت عن قطعة رمادية في المنزل ؟

لم قبد عليه الدهشة لدى سماعه هذا السؤال ، وقال :

- سمعت عنها ولكنني لم ارها ا

- ولكن في اول يوم عندما رأينا المس باترسون ؟

أخذ يرمقني بنظرات ثابتة ، ثم قال :

- رأيت المس باترسون تسير وحدها في الحديقة .

بدأت أفهم رسألته :

- إذا .. فالقطعة ؟

أوما برأه وأجاب :

- أردت أن أرى - دون أن احبطك علماً - ما إذا كنت تسمع

ما نسمعه .

- إذا فأنتم جميعاً تسمعون الصوت ؟

- لم اسمع من قبل عن شبح قطعة يحوم داخل منزل ا

أخبرته بما علمته من الخادم ، وأعرب لي عن دهشته قائلاً :

- هذه اخبار جديدة بالنسبة لي ، فلم اكن اعرف هذه الحقيقة .

- ولكن ما معنى هذا ؟

هز رأسه قائلاً :

- الله وحده يعلم ، ولكنني أقول لك يا كارستيز إنني خائف ، هذا الصوت يحمل معنى التهديد !

وقلت له بجدّة :

- التهديد ؟ لمن ؟

- لا أستطيع أن أقول !

لم أفهم المعنى الذي يقصده قبل حلول الليل ..

كنا نجلس في غرفة الجالوس الخضراء ، كما كنا نفعل ليلة وصولي
هنا عندما سمعنا صوت مواء مرتفع خارج الباب .. ولكنه كان غاضباً في
هذه المرة ويحمل لهجة التهديد .

توقف انواء ، قسمنا صوت مقبض الباب يخشخش بعنف ، كأن
مخلب قط يعبث به !

اندفعنا نحو الباب ولكننا لم نعاثر على شيء ، وكانت فيلبس ترتعد من
الفرع ، بينما حاكى وجه الليدي كارمايكل وجوه الموتى ، كان ارنو
وحده هو الذي يتربع في جلسته هادئاً كالطفل ، معتمداً برأسه على
ركبة أبيه .

وضعت المس باترسون يدها فوق ذراعي وصعدنا السلم ، قائلة لي :

- ماذا يعني كل هذا يا دكتور ؟

- لا نعرف السبب بعد . ولكنني سوف أتوصل لمعرفة السر .. لا
تخافي شيئاً ، فأنا مقتنع بأنه لا يوجد شيء خطر يهدد حياتك شخصياً .

نظرت إلى بارتياح ثم قالت :

- هل تعتقد ذلك حقا ؟

- إني واثق بما أقول .

تذكرت منظر القطة وهي تتمسح برجليها بوداعة ، مما يعني أن التهديد ليس موجها اليها .

* * *

كنت استلقي على السرير لأنام عندما داخلني شعور غامض سبب لي بعض القلق ، وخيل إلي أنني اسمع خربشة مخالب قط وصوت شيء يتمزق ، قفزت من السرير واندفعت بسرعة نحو الممر ، ورأيت في نفس الوقت ستيل يندفع إلى الممر من الجانب الآخر .. كان الصوت صادراً من مكان على يسارنا ..

وقال ستيل بارتياح :

- هل سمعت الصوت يا كاستيرز ؟ هل سمعته ؟

أسرعنا نحو غرفة الليدي كارمايكل ، لم نر شيئاً يمر أمامنا ، ولكن الصوت توقف .

والقينا أضواء شموعنا على باب الليدي كارمايكل ، وحدق كل منا في وجه الآخر بدهشة .. وقال ستيل هامساً :

- هل تعرف لمن كان الصوت ؟

أرمات برأسي قائلاً :

- مخالب قط يخربش شيئاً ويمزقه .
مرت في بدني رجفة بسيطة ، ثم صحت بدهشة وانا أخفض الشمعة
التي أحملها :
- أنظر هنا يا ستيل .

وكان المقصود بـ « هنا » مقعداً يستند على الحائط ، وكان كسائه ممزقا
إلى شرائح بالطول .

فحصنا المقعد عن قرب ، ونظر إليّ ستيل وهو يقول :
- مخالب قط . لا شك في هذا .

انتقل بصره من المقعد إلى الباب المفلق قائلاً :

- هذا هو الشخص الذي ينصب عليه التهديد الليدي كارمايكل !

لم استطع النوم في تلك الليلة .. فقد بلغت الأمور حداً يتطلب
الحركة السريعة ، وكنت أعلم ان شخصاً واحداً بيده مفتاح السر ،
وازدادت شكوكي في أن الليدي كارمايكل تعرف أكثر مما تصرح به .

ازداد شعوب وجهها صباح اليوم التالي وهي تنزل من حجرتها لتناول
الافطار ، وظلت تنظر إلى الطعام دون أن تقربه ، وكنت على ثقة من
أن إرادة حديدية هي التي تمنعها من الانهيار ..

وطلبت منها بعد الافطار أن تبادل معها بعض الحديث قائلاً لها :
- ليدي كارمايكل .. لدي أسباب تجعلني أؤمن أنك تواجهين
خطراً داهياً :

اجابت بدون اكتراث قائلة :

- أحقاً ؟

واكملت حديثي قائلاً :

- هنا في هذا المنزل .. شيء موجود يقف منك موقفا عدائيا !
ردت باحتقار :

- اني لا اصدق شيئا من هذا العبث .

وقلت لها يحفاف :

- المقعد الموجود امام غرفتك ، لقد تمزق تماما في الليلة الماضية .

رفعت حاجبيها متصنعة الدهشة وهي تقول :

- حقا ! ربما كان مجرد مزاح سخي .

وقلت لها :

- ليس الأمر كذلك ، واريد منك أن تصارحيني لمصلحتك !

صمتت قليلا واجابتني :

- اصارك بأي شيء ؟

قلت لها بلهجة جادة :

- أي شيء يلقي الضوء على الفموس الذي يحيط بالموضوع .

ضحكت وهي تقول :

- إنني لا أعرف شيئا على الاطلاق .

رغم هذا فقد كنت مقتنما بأنها تعرف شيئا خطيرا لا تريد أن
تبوح به ، وان بيدها مفتاح السر الفامض بالنسبة لنا ، ولكنني لم أجد
وسيلة لاقتناعها بالكلام .

على أي حال ، قررت اتخاذ كل الاحتياطات الممكنة ، مقتنما بأن
خطرا جسيما يتهددها .

وقمت مع ستيل بفحص حجرتها في اللية التالية قبل ان يذهب اليها ، وافقنا على أن نتبادل لوبات الحراسة للمر .

أخذت لوبة الحراسة الأولى التي انقضت دون حادث . وجاء ستيل في الثالثة صباحاً ليأخذ لوبته ، كنت متعباً من أفر السهر في اللية الماضية ، ومن ثم نمت في الحال .. وحملت حلاً كثيراً الغرابة .

حملت ان القطعة الرمادية تجلس تحت سريري ، وانها تنظر الى متوسة ثم أدركت من نظراتها أنها تطلب مني أن اقبعها ، فاستجبت لرغبتها وقادتني القطعة إلى الجناح الآخر من المنزل ، حيث توجد غرفة من الواضح أنها المكتبة ..

ووقفت القطعة على قدميها الخلفيتين وهي تشير بقدميها الأماميتين إلى رف معين للكتب ، وهي لا تزال ترمقني بتلك النظرات المتوسة ، ثم بهتت صورة المكتبة والقطعة ، وفتحت عيني على نور الصباح ..

انتهت لوبة ستيل دون حادث ، واخبرته الحلم ، وبناء على طلي قادني إلى غرفة المكتبة التي تطابق جميع التفاصيل التي رأيتها في الحلم ، واطلمت على المكان الذي كانت القطعة تقف فيه ، ولدهشتنا وجدنا مكان احد الكتب خالياً .

وقال ستيل :

— اقترح اقدم كتاباً من هذا الرف ..

عندما فحص ستيل موضع الكتاب الناقص قال :

— مرحى يوجد مسار خلف الرف ، وقد تمزقت قطعة من الغلاف

وتعلقت بالمسار .

فحص ستيل قطعة الورق بعناية ، ولم تكن مساحتها تزيد على بوصة مربعة ، ولكن كلمة واحدة كانت ظاهرة عليها لها دلالتها :
- القطعة ..

خلق كل منا في وجه الآخر ..

وقال ستيل :

- لقد بدأت رأسي تدور ، هذا فظيع .

- اريد ان اعرف موضوع الكتاب المفقود ، هل تعتقد أنه توجد وسيلة لذلك ؟

قال ستيل :

- ربما يكون اسمه مدرجا في كتالوج هنا ، او ربما تكون الليدي كارمايكل !

هزئت رأسي نفياً وأما أقول له :

- لن أقول الليدي شيئاً .

- اهذا ما تعتقده ؟

- إنني واثق من ذلك ، بينما نحن نتخبط في الظلام تعرف هي الحقيقة ولأسباب خاصة بها لا تحب ان تتكلم ، وهي تفضل الخطر الفظيع على أن تبوح لنا بالسر .

انتهى اليوم دون وقوع حوادث مما ذكرني بالهدوء الذي يسبق العاصفة وداخلي احساس غريب بأن المشكلة في طريقها إلى الحل ، وأن الحقائق موجودة في انتظار من يكشف النقاب عنها .

ولم يحب ظني ا وبوسيلة شديدة الغرابة ا
حدث ذلك بينما كنا نجلس في غرفة الجاوس الحضراء كالعادة بعد
العشاء ..

كنا غارقين في الصمت ، عندما جرى فأر صغير على ارض الغرفة ..
وفي لحظة حين حدث الشيء .. قفز أرو كارمايكل من مقعده ، وجرى
معتقياً اتر الفأر .

وكان الفأر قد اختبأ في جحر ، وقبع أرو على الأرض ياربص للفأر
وكل جسده يرتعد في تحفز .

كان شيئاً فظيماً .. ولم يعد يساورني الشك في ذلك الشيء الذي
كان منظر الشاب يذكرني به وهو يزحف على الأرض دون أن يصدر
صوتاً ..

طردت الفكرة باعتبارها مستحيلة ، ولكنني لم استطع ان ابعدها
عن ذهني .

لا اكاد اذكر ما حدث بعد ذلك ، لأن الأمر كله كان يبدو
خيالياً . الذي اذكره أننا ارتقمينا السلم لنذهب إلى غرفنا .



وقف ستيل امام باب غرفة ليدي كارمايكل ليقوم بنوبة الحراسة
الأولى ، واتفقنا على ان يناديني في الثالثة صباحاً . لم اكن اخشى وقوع
شيء لليدي كارمايكل ، فقد سيطرت علي النظرية الغريبة التي تخيلتها ،

وكنت اقول لنفسي إن ما اتصوره ضرب من المستحيل .

تبدد مكنون الليل فجأة ، فقد سمعت صوت ستيل يناديني .
واندفعت بسرعة نحو المر ، ورأيت صديقي يدق بعنف على باب
ليدي كارمايكل ..

وقال ستيل بانفعال :

- ولكن !

- إنها هنا في الداخل يا رجل ! في الداخل معها ! الا تسمع
الصوت ؟

سمعت من وراء الباب صوت مواء القطعة التي تقوئ بوحشية .. ثم
سمعت صوت صرخة عالية .. ثم صرخة ثانية .. وتعرفت على صوت
الليدي كارميكل ..

وصحت قائلاً بمحبة :

- الباب ! لا بد من تحطيم الباب وإلا دخلنا بعد قوات الأوان .

دفعنا الباب باكتافنا بكل ما نملك من القوة ، وتهادى الباب وكذا
نسقط على الأرض .

كانت الليدي كارمايكل ممددة على السرير غارقة في الدم ..

لم أرَ في حياتي مثل ذلك المنظر البشع ، كان قلبها لا يزال
ينبض .. ولكن جراحها كانت جسيمة .. لأن جلد العنق كان ممزقا ..

همست وأنا ارتجف :

- الخالب !

ضمدت الجراح وغطيتها بضمادة ، واقترحت سراً على ستيل ألا نخبر

أحدًا عن طبيعة تلك الجراح ، خاصة بالنسبة للمسن باترسون ، وأرسلت
برقية لاستدعاء إحدى ممرضات المستشفى ..

كانت اخوة الفجر تتسلل من النافذة ، ونظرت إلى الأرض المشوشة
قائلا لتيل :

- ارتد ثيابك لنخرج ، سوف تتحسن حالة الليدي كارمايكل الآن .
ارتدى ستيل ثيابه على عجل وذهبا إلى الحديقة ..
وقال ستيل :

- ما الذي تريد أن تفعله ؟
.. سوف نحفر الأرض نبشًا عن جثة القطة .. يجب أن أتأكد من .
عثر على جاروف وبدأنا نحفر أسفل شجرة خشب الزان الكبيرة
وكلت جهودنا بالنجاح ..

لم تكن مهمة سارة ، فقد ماتت القطة منذ أسبوع ، إلا انني رأيت
ما كنت أريد التأكد منه ..
وقلت لتيل :

- هذه هي القطة . نفس القطة التي رأيتها في اليوم الأول لوصولي .
تشمم ستيل الهواء بأنفه .. كانت رائحة اللوز المر لا تزال موجودة .
ونتم ستيل :

- حامض البروسيك ..

اومات براسي ، فسألني بلهفة :

- ما رأيك ؟

- نفس ما يحول بخاطرك ..

لم تكن نظريتي جديدة بالنسبة له ، لأنه فكر في نفس الشيء ..
وتتم قائلًا :

- هذا مستحيل ! مستحيل ! إنه مخالف لكل القوانين العلمية
والطبيعية ، ذلك الفأر في اللية الماضية .. أوه .. ولكن هذا غير
معقول ..

- الليدي كارمايكل سيدة بالغة الغرابة ، إنها تلك قوى سحرية
غامضة .. ولديها القدرة على تدويم الأشخاص ، عاش أسلافها في الشرق ،
ولا ندري أي نوع من القوى استخدمتها للتأثير على شخص كأرو
كارمايكل .. ولا تنس يا ستيل ، أن أرو لو ظل معتومًا لا حيلة له ،
وظل على دلالته لها ، فإن جميع ممتلكاته تنتقل من الناحية العملية
إلى ابنها - الذي أخبرني أنها تحبه إلى درجة الجنون ، وكان أرو
يستعد للزواج !

- ولكن ماذا سنفعل يا كارستيز ؟

- لا شيء .. سوف نبذل أقصى الجهد لنقف أمام رغبة ليدي
كارمايكل في الانتقام .

تحسنت حالة الليدي ببطء ، واندملت جروحها بسرعة غير متوقعة ،
إلا أن آثار الجراح من المحتمل أن تبقى معها حتى الموت ..

لم أحس من قبل بمثل عجزى الرامن ، فقد كانت القوة التي هزمتنا
لا تزال في أوج سيطرتها ، ولم يكن أمامنا سوى انتظار تبدد
تلك القوة ..

كنت مصراً على شيء .. لا بد من إبعاد الليدي كارمايكل عن

وولدن بمجرد أن تمنع تلك القوة من مطاردتها ..
وهكذا مرت الأيام !



حدثت يوم ١٨ سبتمبر موعداً لنقل ليدي كارمايكل ، وحدث ما
لم نكن نتوقعه يوم ١٤ .

كنت اتناقش في المكتبة مع ستيل حول ليدي كارمايكل ، عندما
قدمت إحدى الخادومات بانفعال :

- امرع ياسيدي ! فقد سقط المستر أرمر في البركة ..

ما كاد يضع قدمه في القارب المسطح حتى اندفع القارب واختل
توازنه وسقط في الماء ! فقد شاهدت ما حدث من النافذة .

اندفعت خارجاً من الغرفة وستيل يتبعني .. وكانت فيليس بالباب
وسمعت كلام الخادمة ، وجرت معنا وهي تقول :

- لا يوجد مبرر للخوف ، لأن أرمر سباح ماهر .

كان سطح الماء ساكناً بينما ينزل القارب فوق الماء ، ولكننا لم نعث
لأمر على أرمر .

خلع ستيل ستره وحذاه وهو يقول :

- سوف اقفز إلى الماء ، وعليك ان تركب القارب الآخر وتبحث

في الماء .. ليس العمق كبيراً !

ظللنا نبحث دون جدوى ، وكانت الدقائق تتتابع بسرعة ، وعندما

- أنظر !

كانت مسحة خفيفة من اللون الأحمر تسري في وجه أرثر ..
تحسنت قلبه وصحت بفرح :

- استمر في اجراء التنفس الصناعي ، إن الحياة تدب في جسمه ..

مر الوقت سريعاً ، وفيما يشبه المعجزة ، فتحت العينان ..
عينان آدميتان تشعان بالذكاء .. استقرت العينان على وجه فيليس ،
وقال أرثر بصوت ضعيف :

- هالوفيل ! أهذه انت ؟ كنت افكر أنك لن تأتي قبل الغد ..
فلم تطاوعها شفتاها على النطق ، ولكنها ابتسمت له . وادار أرثر
بصره حوله في حيرة ثم قال :

- ولكن أين انا ؟ ولماذا أحس بهذا الضعف الشديد ؟

ما الذي حدث لي ؟ هالودكتور ستيل !
وأجابه ستيل بقوله وهو شارد اللب :
.. كدت تموت غرقاً .. هذا ما حدث !

عبس السير أرثر وقال :

- ولكن كيف حدث ذلك ؟ كنت أسير أثناء النوم ؟

هز ستيل رأسه نفياً ، وقلت :

- يجب ان نعود إلى المنزل !

خلق أرثر في وجهي ، وقامت فيليس بواجبات التعارف قائلة :

- الدكتور كارل ستيرز .. إنه يتزل ضيف عندنا .

ساعدنا أرثر على المشي إلى المنزل ، ولاح عليه أن فكرة مفاجئة

طرأت على ذهنه ، وقال :

- أريد أن أسألك يا دكتور ، هل يعطاني هذا الحادث عن الاستعداد

ليوم ١٢ ..

وقلت له ببطء :

- الثاني عشر ؟ تعني الثاني عشر من شهر أغسطس ؟

- نعم .. يوم الجمعة القادم .

وقال له ستيل بحدة :

- اليوم الرابع عشر من سبتمبر .

كان قلق أرثر واضحا وهو يقول :

- ولكن .. ولكنني كنت أظن أن اليوم هو الثامن من أغسطس ، لا

ريب أنني كنت مريضا .

تدخلت فليبس في الحديث قائلة له بصوتها الرقيق :

- نعم .. كنت فريسة مرض شديد .

قطب أرثر جبينه ، ثم قال :

- إني لا افهم شيئا ، كنت في صحة جيدة عندما ذهبت إلى سريري

في الليلة الماضية ، على الأقل لم يكن ذلك في الليلة الماضية على وجه

التحديد ، فقد حلت ، إني أذكر الأحلام ..

قطب جبينه مرة أخرى وهو يحاول أن يتذكر ، ثم استرسل في

حديثه قائلا :

- شيء . ماذا كان ذلك الشيء ؟ شيء مريع .. شيء فعله بي

أحدم ، وكنت غاضبا - يائسا .. ثم حلت إني تحولت إلى قطرة ..

نعم .. شيء مضحك ، اليس كذلك ؟ ولكن الحلم لم يكن مضحكا ،
كان شيئا فظيحا اولكتني لا استطيع أن أتذكر ، إنه يقات من
ذاكرتي عندما احاول التفكير .

وضعت يدي على كتفه وأنا أقول له :
- لا تحاول التفكير يا سير أرثر .. كن قائما بالنسيان .
نظر اليّ في حيرة ، وصمت فيليس قتنهد بارتياح ، وكنا قد
وصلنا إلى المنزل .

وقال أرثر فجأة :
- بهذه المناسبة ، أين ربة المنزل ؟
اجابته فيليس بعد لحظة تردد :
- إنها مريضة ا
وقال باهتمام شديد :
- أوه ايا لأم المسكينة ، أين هي ؟ هل هي في غرفتها ؟
فأجبتة :

- نعم .. ولكن من الأفضل ألا تزعجها لأنها ..
وماتت الكلمات على شفتي ، وفتح الباب في تلك اللحظة ، وظهرت
الليدي كارمايكل قادمة من الصالة .

كانت نظراتها مركزة على أرثر ، كانت نظرات تكشف عن الرعب ،
وكان وجهها أبعد ما يكون عن الادمية وهي تنظر اليه تلك النظرة ،
وارتفعت يدها نحو رقبتها ..

وتقدم نحوها بجنو صبياني قائلا :

- هالو ! إذا فقد كنت أنت أيضاً قريسة المرض ؟ إنني أعبر لك عن اسفي البالغ
ارتدت امامه مذعورة وعيناها زائفتان ، ثم اطلقت صرخة عالية
وانسحبت بسرعة من الباب المفتوح ، اسرعت اليها والمحنيت فوقها ،
ثم وجهت حديثي إلى ستيل قائلاً :
- هس ! خذ أرثر إلى غرفته ، ثم عد إليّ .. فقد لفظت ليدي
كارمايكل أنفاسها .

عاد ستيل بعد دقائق وهو يسألني بقلق :
- كيف حدث هذا ؟ ما هو السبب ؟
- الصدمة .. الصدمة لرؤيتها أرثر كارمايكل . أرثر الحقيقي
وقد ارتد إلى الحياة ، أو تستطيع أن تقول بعبارة أخرى .. إنها
العداة الالهية !

تردد ستيل قبل أن يقول :
- تعني !
- حياة بحياة ..
- ولكن !
- أوه .. إنني أعلم أن حادفاً غريباً لا يمكن تفسيره قد سمح
لروح أرثر ان تتردد لجسده ، ورغم هذا فقد تعرض للجريمة قتل .
نظر إليّ بارتياح وهو يقول بصوت منخفض :
- بحامض البروسيك ؟
- نعم .. بحامض البروسيك .

لم نتحدث أنا وستيل قط في موضوع إيماننا ، فمن ناحية كان أرثر يعاني من حالة فقدان الذاكرة وكانت الليدي كارمايكل هي التي مزقت رقبتها في حالة جنون مفاجيء ، وكان ظهور القطعة الرمادية مجرد خيال ، إلا انه توجد حقيقتان لا يمكن لعقلي أن يخطئها ..

الأول تمزيق كساء المقعد في الممر ، والآخر وهو أكثر دلالة ، العثور على كتالوج المكتبة ، وبعد بحث شاق اتضح ان الكتاب المفقود مجلد قديم يبحث في تناسخ الأرواح البشرية وحاولها في أجساد الحيوانات ا

شيء آخر . احمد الله على ان أرثر لا يعلم شيئاً ، فقد دفنت فيليس أسرار تلك الأسابيع في صدرها ، وانا على ثقة من أنها لن تكشف ذلك السر لزوجها الذي تحبه حباً شديداً ، والذي اخترق حاجز القبر بناء على دعوة من صرتها .

نداء الاجنحة

- ١ -

كانت اول مرة يسمع فيها سايلاس هامر الصوت في إحدى ليالي
الشتاء في شهر فبراير ..

كان يسير مع ديك بورو بعد ثلجية دعوة العشاء من برنارد سيلدون
اخصائي الأمراض العصبية .. وكان بورو صامتاً على خلاف عادته .

وسأله سايلاس هامر بفضول عما يشغل باله ، وكان رد بورو
غريباً حيث قال :

- كنت افكر في أن رجلين من بين جميع الرجال في العالم أبعد ما
يكونان عن الاحساس بالسعادة . أنا وأنت .

كان وجه الغرابية أن الرجلين على طرفي نقيض ، فقد كان ديك
بورو راعي . كتيبة في الوست أند .. بينما سايلاس هامر مليونير
ذائع الصيت ..

وقال بورو :

– الغريب اني اعتقد انك المليونيـر الوحيد الذي يشعر بالقناعة .

لزم هامر السكوت برهة ، ثم قال :

– كنت بائع صحف بائساً ، وتمنيت وقتها – ما انعم به الآن – المال ،
والراحة وليس القوة . كنت أريد المال لا النفوذ والقوة .. كانت
كل امنيتي ان أعيش في رخاء .. وأنا اتفق معك على أن المال لا يشتري
كل شيء أريده . لهذا فأنا قانع .. انتي رجل مادي يا بورو ، مادي
من الداخل والخارج ..

أظهر الضوء الساطع المنبعث من مصباح الشارع الفارق الواضح بين
الرجلين ، سايلاس بسترته المبطنـة بالفراء ولحمـه المكتنز ، وديك بورو
بتحوله وزيفان بصره ..

وقال هامر :

– إنه انت الذي لا افهمه ..

ابتسم بورو وقال :

– إنني أعيش وسط الفقر والحاجة والجوع .. وأؤمن بالأشباح التي
أراها من حولي ، ولا اعتقد أنك تؤمن بعالم الرؤى والأشباح .

وقال سايلاس هامر بتصميم :

– اني لا أؤمن بشيء لا أراه أو اسمعه .

– تماماً .. وهذا هو الفارق بيني وبينك .. حسناً .. ها قد وصلنا
لفارق الطريق ، سوف أتركك هنا .

تابع هامر المشي وحده ، وكان سعيداً لأنه جـرف السيارة وفضل
المشي في هذه الليلة . كان الهواء بارداً ، ولكن السترة المبطنـة بالفراء

بمشت الدفء في جسمه ..

وقف على الرصيف ينتظر خاو الطريق ليعبر إلى الجانب الآخر ،
ورأى سيارة نقل ضخمة تقبل بسرعة ، آثر الانتظار حتى تمر السيارة ،
وكان يقف يحواره على الرصيف رجل مخمور رث الثياب .

وسمع هامر صرخة مدوية عندما مرت به السيارة ، ورأى الرجل
المخمور في غمضة عين كتلة من اللحم والثياب الممزقة مكومة على
الأرض ..

تجمع الناس ، وجاء شرطيان أحاطا بالسائق . ولكن عيني هامر
ظلتا مركزتين على كتلة الحطام البشري الملقاة على الأرض ، والتي كانت
لرجل .. انسان مثله ، وسرت في بدنه رجفة قوية .

سمع صوت احد المارة يحواره يقول له :

- لا تلق اللوم على نفسك يا سيدي .. لم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً
من أجله ، لقد كان محكوماً عليه بالموت على أي حال .

حلق هامر في وجه محدثه .. لم تخطر على باله قط فكرة انقاذ
الرجل .. لو أنه حاول بغباء أن يفعل ذلك فربما كان في هذه اللحظة ،
ابتعد عن الزحام وبدنه لا يزال يرتعد من الرعب ..

كان لا بد له من الاعتراف بينه وبين نفسه أنه خائف .. مذعور من
الموت .. الموت الصارم الذي ينقض فجأة ولا يفرق بين الغني والفقير .
أسرع خطاه ، ولكن الخوف ظل في داخله يبعث في بدنه البرودة
والرعدة .. تعجب من نفسه ، فهو يعرف أنه ليس جباناً بطبيعته ..
وفكر في أنه في السنوات لم يكن يعرف هذا الخوف ، لأن



الحياة وقتها لم تكن حلوة ، نعم .. هكذا كان الحال ، فقد كان حب الحياة هو السر ، كان تعلقه بالحياة في ذروته - ولم يكن يهددها سوى خطر واحد : الموت .

استدار نحو مريضق بين التلال كي يختصر الطريق إلى الميدان الذي يقع فيه بيته الحافل بالكنوز الفنية ، وبدأ صخب الشارع العمومي من خلفه يخفت ، وكان وقع أقدامه هو الصوت الوحيد الذي يعكسكون الليل ، ثم طالعه بعد قليل صوت جديد من الأمام ، ورأى رجلا يستند على الحائط وهو يعزف الناي ، فإنه واحد من قافلة الموسيقيين العديدين الذي يحويون الشوارع ..

ولكن لماذا اختار مثل هذا المكان الغريب ؟ ربما ليتجنب رجال الشرطة ..

انقطع حبل تفكيره فجأة عندما اكتشف أن الرجل مبتور الساقين وقد أسند عكازه على الحائط يحواره ، ورأى كذلك أن الناي الذي يعزف عليه الرجل آلة موسيقية غريبة ، وأن النغمات التي تصدر عنها أعلى من نغمات أي ناي آخر !

استمر الرجل في عزفه دون أن يحظى من هامر بالاقتراب نحوه .. وكانت رأسه مرتدة وراء كتفيه كأنما رفعها السحر الذي ينطلق من نايه ، وأخذت الأنفاس تتعالى بوضوح ومرح .. ويرتفع صوتها أعلى وأعلى ..

كانت نغمة غريبة .. لم تكن نغمة على الإطلاق ، كانت جملة واحدة تختلف عن لحن كان « رينزي » ، ويتكرر اللحن المرة تلو

الآخرى .. ويعلم الصوت في كل مرة عن سابقه ، ولكنه يتميز في كل مرة بحرية اكبر ..

لم يكن اللحن شبيهاً بأي لحن آخر سمعه هامر من قبل ، كان شيئاً غريباً ملهماً يتصاعد إلى السماء ..

تشبث هامر بدعامة بارزة في الجدار بجانبه ، وكان واعياً لشيء واحد . أن يمسك الدعامة بكلتا يديه لكي تظل قدماء على الأرض .

تنبه فجأة لتوقف الموسيقى ، ورأى الرجل المشوه يمسك عكازه ، بينما هو سايلام هامر يتشبث بدعامة الجدار خشية ان يخلق به الموسيقى فوق الأرض .

ضحك هامر لهذه المواجه الغريبة .. يا لها من فكرة مجنونة لم ترتفع قدماء عن الأرض ، ولكن يا لها من هلوسة !

أفاق هامر على صوت ارتطام عكازي الموسيقى بالارض ، وتابع الرجل بنظراته حق ابتلع الظلام ..
يا له من السان غريب !

استأنف هامر سيره ببطء ، ولكنه لم يستطع ان يحس من ذاكرته الاحساس الغريب بأنه كان يوشك ان يخلق فوق الأرض ، وغير هامر رأسه واستدار ليتبع الموسيقى ، وكان واثقاً من انه سوف يلحق به ، وصاح بمجرد أن لمس الرجل :
- هاي ! انت يا هذا .. لحظة واحدة .

توقف الرجل حق لحق به هامر ، وستط ضوء مصباح الشارع على

وجهه .. حبس هامر انفاسه مدهوشاً ، فقد كان وجه الرجل من أجل الوجوه التي رآها المليونير طوال حياته .. وكان في اوج الشباب والقوة ، ووجد هامر صعوبة في بدء الحديث ..

ثم قال بتردد :

- استمع اليّ .. أريد ان اعرف اللحن الذي كنت تعزفه .

ابتسم الرجل .. وخيل لهامر ان العالم يرقص مرحاً مع تلك الابتسامة ، وقال الموسيقار :

- إنه لحن قديم .. قديم للغاية ، ربما عمره بضعة قرون !

كانت نبرات صوته شديدة الوضوح ، ولكنه لم يكن انجليزياً ، ولم يستطع هامر أن يحدد جنسيته ، فسأله :

- لست انجليزياً ؟ من أي بلاد جئت ؟

ابتسم الرجل مرة اخرى ابتسامة عريضة وقال :

- جئت عبر البحر يا سيدي ، جئت منذ زمن طويل ، منذ زمن طويل جداً .

فسأله هامر :

- لا شك أنك اصببت في حادث ، هل وقع الحادث مؤخراً ؟

قال الرجل يهدوء :

- كان ذلك خيراً ، فقد كانتا شريرتين !

- كان حظاً سيئاً ان تفقد كلنا ساقيك .

أسقط هامر شلناً في يد الرجل وأدار له ظهره وهو يفكر فيما قاله

الرجل : « كانتا شريرتين »

ويدت الكلمات غريبة ، وظل هامر يفكر فيها بعد وصوله إلى منزله ، وعبثا حاول ان يطرد الفكرة عن خاطره ..

رقد في السرير ولم يطرق النوم أجفانه حتى دقت الساعة الواحدة ، دقة واحدة ، ثم خيم الصمت .. الصمت الذي قطعه صوت مألوف .. أحس هامر بضربات قلبه تزداد سرعة . كان صوت الرجل في الممر يعزف على الناي ..

كان الصوت قادما من بعيد ..

كانت نفس النغمة .. وكان اللحن يتردد بشكل ساحر ..

ومس هامر لنفسه :

- إنه خارق كان له أجنحة !

ازداد اللحن وضوحا وهو يرتفع اكثر واكثر ، كل موجة تعلو على سابقتها ، وهامر يخلق معها . لم يحاول أن يمنع نفسه ، وأخذ يخلق أعلى وأعلى يداخله احساس بالانتصار والتحرر ..

وظل هامر يرتفع والنغمات تعلو وتعلو حتى تجاوزت حدود الصوت البشري ، ومع هذا فقد استمرت في الارتفاع ، هل تصل إلى الهدف النهائي ..

الكمال المطلق في الارتفاع ؟

كان شيء يجذب هامر إلى أسفل .. شيء كبير وثقيل .. يجذبه باصرار ليهبط ..

ظل هامر يمدق في النافذة المواجهة له مبهوراً ، وهو يتنفس بصعوبة وألم ..

مد ذراعه أمامه وأحس بها تؤله .. وأحس بنعومة الفراش تحزّه ، وبالسّائر الثقيلة المسدلة على النافذة تحجب عنه الهواء والنور ، وأنّ السقف يحثم على أنفاسه ..

أحس بالضغط والاختناق ، وتقلل قليلا في فرائشه ، وخيل اليه أن ثقل جسمه هو أكثر الأشياء التي تضغط عليه !

- اريد ان استشيرك يا سيلدون .
- دفع سيلدون مقعده قليلا إلى الوراء ، كان يتساءل عن سر هذه الدعوة على العشاء ، فلم يكن قد التقى بهامر منذ تلك الليلة في الشتاء ، وقال المليونير :
- إنني قلق .. قلق على نفسي !
- ابتسم سيلدون وهو يقول :
- ولكنني أراك في احسن حال .
- أ .. لدي احساس بأنني في الطريق إلى الجنون !
- أرهم الطبيب اذنيه باهتمام ؛ ثم قال يهدوء :
- ما الذي يجعلك تفكر في هذا ؟
- شيء حدث لي لا يمكن تفسيره أو تصديقه ، ونظراً لأنه لا يمكن أن يكون حقيقياً فلا بد اني جننت .
- وقال سيلدون :
- خذ حريتك وحدثني عن ذلك الشيء ..
- بدأ هامر بقوله :
- إنني لا أؤمن بالأشياء الخارقة للطبيعة ؛ ولكن هذا الشيء ..

حسنًا .. من الأفضل ان اروي لك القصة من البداية .. بدأت القصة في إحدى ليالي الشتاء بعد ان تناولت العشاء معك !

روى له هامر الأحداث التي مرت به في رحلة العودة ؛ و اضاف إلى ذلك قوله :

- كانت تلك هي البداية ؛ اما احساسي فلا أستطيع أن اصفه لك بدقة ؛ ولكنه شيء رائع ! يختلف عن اي شيء نراه في الأحلام ؛ وقد استمر الحال منذ ذلك اليوم .. ليس كل ليلة ولكن بين الحين والحين .. الموسيقى والاحساس بالصمود .. التحليق في الفضاء ؛ ثم الجذب بعنف لأهبط إلى الأرض ؛ ثم ما يعقب ذلك من الألم .. الألم الذي تشعر به في أذنيك وأنت تهبط من جبل شاهق الارتفاع ويصاحب ذلك الاحساس الفظيع بالثقل ؛ وكأن شيئاً يضغط عليك ويخنقك .

سكت هامر برهة ثم أردف يقول :

- يعتقد الخدم اني جننت بالفعل .. لم أعد اطيع السقف والجدران ؛ وطلبت منهم أن يعدوا لي مكاناً في سطح المنزل لا تظله سوى السماء ؛ عارياً من الأثاث والسجاجيد ؛ أو أي شيء يسبب الاختناق ..

ورغم هذا فإن احساسي بوجود المنازل الأخرى من حولي يسبب لي الضيق ؛ إن الريف هو الذي أريده حيث أستطيع أن أتنفس بحرية ؛ والآن ما هو رأيك ؟ هل لديك تفسير لما يحدث ؟

قال سيلدون بعد تفكير :

- أ . نعم .. لدي أكثر من تفسير .. ربما تكون قد نومت تنوعياً
مغناطيسياً أو أنك نومت نفسك ، وقد حدث لأعصابك بعض الخلل ،
أو ربما يكون مجرد حلم !

هز هامر رأسه قاتلاً :

- لا يجدي واحد من التفسيرين

- هنالك تفسيرات أخرى ، ولكنها قد لا تكون مقبولة بصفة
عامة !

- إني على استعداد للاستماع إليها .

- هنالك أشياء لا نجد لها تفسيراً .

قال هامر :

- وبماذا تنصحنني أن أفعل ؟

أجاب سيلدون بهدوء :

- أشياء كثيرة .. أن تغادر لندن مثلاً وتذهب إلى الريف قريباً
توقفت الأحلام ..

قال هامر على الفور :

- لا أستطيع أن أفعل ذلك لأنني لا أستطيع الاستمرار بغير

هذه الأحلام !

- آه ! هذا ما تخيلته .. تحدث مع الرجل حتى ينتهي هذا السحر !

هز هامر رأسه ..

فسأله الطبيب :

- لماذا ؟

- لأنني خائف !

- لا تؤمن بذلك إيماناً أعمى ، ذلك اللحن الذي يبدأ معه كل هذه المتاعب ، هل تستطيع أن تصفه لي ؟

مهم هامر باللحن والطبيب يصفي اليه ، ثم قال :
- إنه قريب الشبه من لحن .. ريتزي .. فيه الاحساس بارتفاع ،
ولكنني لا أجلق في الفضاء عندما استمع اليه !
- هل يتوقف اللحن ؟

- كلا .. كلا إنه يتصاعد في كل مرة استمع اليه ، لا أستطيع أن
أعبر بالكلمات عما أحس به .. إلي أحس في كل مرة أنني أبلغ نقطة
معينة تحملني إليها الموسيقى ، ليس مرة واحدة ، وإنما في موجبات
متلاحقة ، وعندما أصل إلى الذروة حيث لا ارتفاع بعد ذلك ، يبدأ
الجذب إلى أسفل .. إنها ليست نقطة في الواقع وإنما حالة .. ليست
شيئاً جسمانياً .. هنالك احساس بالضوء ثم بالصوت .. ثم باللون ، كل هذا
في غموض ودون شكل واضح ، يبدأ الضوء في الظهور ثم يزداد وضوحاً ،
ثم يظهر الرمل ، يقع كبيرة من الرمل المائل إلى الحمرة ، ثم تبدو هنا
وهناك خطوط مستقيمة من الماء مثل القنوات .

قال سيلدون باهتمام :

- القنوات هذا مثير . أرجوك أن تستمر .

- ولكن هذه الأشياء لا تهم .. الأشياء الحقيقية هي التي لا أستطيع
أن أراها وإنما اسمعها ، إنه صوت يشبه حفيف الأجنحة .. كأن شيئاً
رائعاً لا يدانيه شيء آخر .. ثم يجيء آخر رائع .. لقد رأيتها ..

رأيت الأجنحة !

- كيف كانت تلك الأجنحة .. أهى لرجال - ملائكة ، طيور ؟

اجاب هامر مفكراً :

- لا ادري . لم استطع تمييزها ، ولكنني ميزت لونها ، لون الأجنحة

إنه لون رائع !

- لون الأجنحة ؛ ماذا يشبه ؟

قال هامر بضيق .

- كيف استطيت ان اخبرك ؟ كأنك تطلب مني ان اصف اللون

الأزرق لشخص أحمى ؛ إنه لون لم تره من قبل .. لون الأجنحة !

- حسناً .. وبعد ؟

- هذا هو كل ما لدي .. فيما عدا أنني كنت أحس بمزيد من الألم

في كل مرة ؛ إني مقتنع بأن جسمي لا يفارق السرير رغم أنني لا أحس

بوجود جسمي .. لماذا أحس بكل ذلك الألم إذا ؟

هز سيلدون رأسه في صمت ..

وقال هامر :

- إني أريد النور والهواء والفضاء ، وفوق كل ذلك مكانا لتنفس

فيه اريد الحرية !

- اي الأشياء كان لها معنى خاص لديك ؟

- هذا أسواء ما في الأمر .. الراحة والرفاهية والمتعة ، ويبدو أن

هذه كلها تجلب نحو الجانب المضاد للأجنحة .. إنه صراع مستمر بينها

ولا أدري كيف ينتهي هذا الصراع .

كان سيلدون يستمع في صمت وهو يتساءل : أهى احلام ام هلوسة ؟
ام هل هي أشياء حقيقية ؟ وكيف يحدث ذلك لرجل مادي مثل هامر
الرجل الذي يعشق الجسد وينكر الروح ؟

وقال الطبيب في النهاية :

— لا يوجد حل سوى ان تصبر لترى ما سيحدث !
— هذا يعني انك لا تفهم الموقف .. هذا الصراع يمزقني .. انتي
التمزق بين ..

— بين الجسم والروح ؟

وعندما توقف عن الكلام قال هامر :

— ربما انتي لا استطيع ان التحرر ..

— لو اني كنت مكانك لذهبت لأبحث عن ذاك الرجل ..

عندما عاد سيلدون إلى بيته حدث نفسه قائلا :

— القنوات ؟ اني لفي دهشة !

استيقظ هامر في صباح اليوم التالي عازما على البحث عن الرجل
المبتور الساقين ..

كان يخشى ان يكون الرجل قد تبخر من الوجود ، ولكنه عاد
عليه في المر الضيق ، وكان الموسيقار قد ترك آله الموسيقية والمكازين
يحوار الحائط ، وانشغل في رسم لوحات بالطبشور الملون على أرض
الشارع ..

كان قد انتهى لتوه من رسم لوحة لأشجار تتمايل أمام بركة ، وكانت
اللوحة تكاد تنبض بالحياة .

فسأله هامر بانفعال :

- من انت ؟ اخبرني بحق السماء من أنت ؟

استمر الرجل في الرسم ، وبخطوط قوية سريعة رسم لوحة لرجل
فوق صخرة يعزف على الناي .. رجل كثير الوسامة ورجلي ماعز ..

وبمركات سريعة رأى هامر الرجل في اللوحة لا يزال جالسا فوق
الصخرة إلا أنه مبتور الساقين .

رفع الرسام رأسه قائلا :

- لقد كانتا شيرتين !

خلق هامر بدهشة في الوجه .. كان اجمل وانقى بكثير من ذلك
الموجود في اللوحة ..

غادر هامر المكان بسرعة وهو يمس لنفسه :

- هذا مستحيل .. اني مجنون .. أحلم !

ذهب إلى الحديقة حيث تجلس بعض المربيات مع الأطفال ؛ بينما
يسترخي على الحشائش بعض الرجال المتسكعين .. ورغم انه كان
يشعر بالاحتقار عندما يسمع كلمة :

- متسكع ..

إلا أنه حسد المتسكعين في تلك اللحظة ؛ لأنهم يفتشون الأرض
الخضراء تحت السماء ؛ وهم احرار يتنفسون دون قيود ..

وومضت في ذهنه فكرة .. إنها الثروة التي تقيد حركاته ؛ كان
يعتقد ان المال هو اقوى سلاح على وجه الأرض ؛ ولكنه ادرك الآن
ان الثروة قيد يشد قدميه إلى الأرض .. وانه يتمزق نتيجة الصراع
الداخلي في نفسه بين قوتين : المال ، وحب الثروة ، وبين ما يسميه :
نداء الأجنحة ..

وبينما كان الواحد يقاتل في ضراوة من اجل البقاء ، كان الآخر
ينظر إلى تلك الحرب بازدراء ويطلق نداء . صبيحة ترون في أذنيه ..
كان يسمعها بوضوح تقول له :

- لا تستطيع أن تتصالح معي ، لأنني أخلق عالياً فوق كل الأشياء
إذا أردت أن تتبعني فلا بد أن تتحرر من كافة القوى التي توقعك في

المبودية ، لا أحد يستطيع أن يتبعني غير الأحرار ا

وصاح هامر قائلا بصوت مسموع :

- كلا .. كلا لا أستطيع .

تطلع الناس في دهشة إلى ذلك الرجل الضخم الذي يحدث نفسه .

هكذا كانت التضحية مطاوعة منه ، التضحية بأعز شيء لديه ، التضحية

بجزء من نفسه ، وتذكر الرجل المبتور الساقين .

فوجىء القس ديك بورو بصديقه المليونير في الارسالية ، فسأله عما أتى به إلى ذلك المكان .

وكانت دهشة القس أشد عندما علم أن هامر قد جاء ليخبره أنه كان مشغولاً خلال الأسبوعين الماضيين بالاتصال بالهامين لاتخاذ الاجراءات اللازمة للتنازل عن كل ثروته ، وإقامة بورو وصياً عليها ينفقها في وجوه الخير التي يشير اليها في مواعظه ..

وسأله القس بدهشة :

- كل ثروتك ؟ لم تبق لنفسك شيئاً ؟

ضحك هامر وهو يقول :

- استبقيت لنفسي بنسباً !

انسحب هامر تاركاً القس في حيرته ، ومضى في طريقه خارج الارسالية وهو يشعر براحة نفسية ، وهمس لنفسه :

- أصبحت لا أملك شيئاً !

أحسن الآن بالخوف . الخوف من الفقر والجوع والبرد .. ولكنه أحسن بنفس الوقت براحة الضمير .. والتحرر من كل القيود التي كانت تجثم على أنفاسه .

كانت رياح الخريف الباردة تبعث البرودة في جسده ، واحس هامر بالجوع ، فقد نسي أن يأكل شيئاً قبل خروجه ..

وجد هامر نفسه امام إحدى محطات الانفاق ، وقرر أن يستخدم البنسين في جيبه ليستقل القطار إلى الحديقة التي كان يسترخي فيها المتسكعون .. سوف يهبط إلى النفق المظلم ليخرج من الجانب الآخر ، إلى النور والخضرة ..

حله المصعد بسرعة إلى باطن الأرض .. كان الهواء ثقيلًا ، ووقف في اقصى طرف من رصيف المحطة بعيداً عن الناس ، لم يكن بالقرب منه غير صبي يجلس على مقعد في فتور ، وسمع صوت القطار يدوي وهو يقترب داخل النفق من المحطة ، ثم حدث ما حدث في سرعة البرق .. نهض الصبي استعداداً لركوب القطار ، ولكن قدمه زلت وسقط فوق القضبان ..

تراحت مئات الأفكار في عقل هامر ، تذكر كومة اللحم والثياب الرثة تحت عجلات سيارة النقل ، وكلمات الرجل الذي قال له - لا تلق اللوم على نفسك .. لم يكن باستطاعتك أن تفعل شيئاً من أجله .

كانت امامه ثانية واحدة يقرر فيها ما يفعله ، وكان يعرف أن الخوف في أعماقه لم يخفت .. كان يشعر برعب قاتل . هل يوجد أدنى أمل ؟

فطلع المشاهدون في دهشة شديدة إلى المشهد الغريب الذي يقع أمام أبصارهم .. غلام يسقط فوق القضبان ، ورجل يلقي بنفسه في سرعة البرق

لكي ينقذ الصبي ..

رفع هامر بسرعة الصبي بين ذراعيه والقاء فوق الرصيف .. كانت
القطار يندفع نحو المحطة ولا امل للسائق في التوقف في الوقت المناسب ..
وكان بدن هامر يرتعد ؛ ولكنه كان يطيع طاعة عمياء صوت الروح
الغريبة التي تناديه طالبة منه التضحية ...

وفجأة سكن الرعب الذي يسري في جسمه .. فلم يعد العالم المادي
يقيد حركته .. لقد تحرر من كل القيود ..

تحرر هامر من كل القيود التي كانت تشد قدسيه وتعطيه الشعور
بالعبودية والأمر .. وخيل اليه في لحظة خاطفة انه يسمع روحا مبتهجة
تناديه .. ثم سمع الصوت يزداد وضوحا واقتربا .. يغطي على كل الأصوات
الأخرى .. كان صوت حفيف الأجنحة تلتف حوله وتحيطه بإحساس من
الراحة والسكينة ..

وفاة المهرج

سار المستر ساترويت متمهلاً في شارع بوند ستريت ، مستمتعاً بضوء الشمس ، في طريقه إلى معرض هاركستر للصور الفنية ، حيث كان الرسام المبقري الجديد قرانك بريستو يعرض أول مجموعة من لوحاته الفنية .

وفياً هو يدخل إلى ردهة المعرض ، حياء أحد المشرفين على المعرض قائلاً :

- طاب صباحك يا مستر ساترويت ، لقد كنا نتوقع حضورك يوماً بعد آخر .. ولا ريب انك ستمعجب بهذا الفنان الجديد أشد الإعجاب

ومضى المستر ساترويت إلى قاعة العرض الواسعة المستطيلة التي علقت اللوحات المعروضة على جدرانها الأربعة . وراح في إعجاب واضح يتأمل اللغات الفنية الأصيلة البادية في خطوط كل لوحة على انفراد .

وتوقف برهة أمام لوحة تمثل جسر وستمنستر بما عليه من مارة وسيارات خاصة وعامة ، ومركبات مختلفة الأنواع ، وكان الفنان قد

أطلق على هذه اللوحة اسم « مستعمرة النمل » .

ثم تحرك إلى اللوحات الأخرى حتى توقف أمام لوحة جعلته يتسمر في مكانه .

كانت اللوحة تسمى « وفاة المهرج » ، وكانت أرضيتها ، أو الجزء الأمامي منها ، تمثل أرضية شرفة كبيرة ذات بلاط من اللونين الأبيض والأسود ، وفي وسطها رقدت جثة مهرج ميت في ملابسه الحمراء والسوداء ، وقد مد ذراعيه على جانبيه .. وفي الجزء الخلفي من اللوحة جدار جانبي للشرفة الكبيرة ، فيه نافذة زجاجية ، ومن وراء النافذة بدا وجه ينظر يهدوء إلى « المهرج الميت » .

وأعجب ما في الصورة أن التشابه كان واضحاً بين الوجه الذي كان ينظر من وراء النافذة وبين وجه « المهرج الميت » .. وكأنما أراد الفنان أن يرمز لروح الميت حين تقب الجسد بعد انفصالها عنه .

ولكن الشيء الذي أثار انفعالات المستر ساترويت ، أنه عرف ، أو خيل إليه أنه عرف « وجه المهرج الميت » . لأنه كان يشبه إلى حد كبير وجه صاحبه ذلك الرجل الخفي ، المستر كوين ، الذي كان يظهر في حياته ويمتشي في اوقات معينة .

وقال لنفسه متعجباً :

- إنني لست مخطئاً بالتأكيد ! فما معنى هذا ؟

ذلك أن تجارب المستر ساترويت أكدت له أن كل مرة يرى فيها المستر كوين ، لا بد وأن يكون وراء ظهوره سبب معين .

وكان ثمة شيء آخر آثار اهتمامه باللوحة ..
ذلك أنه عرف المكان الذي صوره الفنان بريشته ، ومن ثم عاد
يقول لنفسه :

- إنها الشرفة الكبيرة في قصر اللورد شارنلي ..
عجيباً ! عجيباً !

ويعد ان شاهد جميع اللوحات المعروضة ، ذهب إلى مدير المعرض ،
المستر كوب ، وقال له بعد أن تبادل معه التحية .
- يودي أن اشترى اللوحة رقم ٣٩ ، إذا لم يكن أحد قد سبقني
إلى شرائها !

فقال المستر كوب بعد أن راجع دفتره :
- أوه ، لقد عرفت كيف تختار يا مستر ساترويت .. كلا لم يشترها
أحد ، إنها فعلاً تحفة ، وأعتقد انك بعد عام ستجد من يعرض عليك
ثلاثة أضعاف ثمنها .

- هذا ما أقوله لي دائماً يا مستر كوب ، اليس كذلك ؟

فابتسم الرجل وقال :

- وهل تراني خدعتك ذات مرة ؟ ألم يصدق حدسي دائماً ؟
- نعم ، نعم اعترف بهذا ، حسناً سأكتب لك الآن صكاً بثمان
اللوحة .

- إنك ان تندم على هذا ، فإن بريستو فنان سيغلد التساريخ
اسمه !

- اهو لا يزال في مرحلة الشباب ؟

- إنه في السادسة أو السابعة والعشرين من عمره .
- إني أرغب في مقابلته ، ولعله يقبل دعوتي له لتناول العشاء
معي الليلة .

فأولاً الماستر كوب برأسه وقال :
- سأعطيك عنوانه ، ولا ريب أنه سيبتج هذه الدعوة لأنك معروف
للجميع كواحد من انصار الفن والفنانين .
فقال الماستر ساترويت وهو يهم بالانصراف :
- إنك تمتدحني أكثر مما استحق ..
وقاطعه الماستر كوب فجأة قائلاً :
- ها هو ذا قد حضر ، لسوف أقدمك له فوراً .

ونفض عن مكتبه ، وأخذ يقدم الماستر ساترويت إلى الفنان الشاب
الوسيم ذي الجسم الكبير والوجه الحالم ..
وبعد التعارف ، قال الماستر ساترويت :
- كان لي الآن شرف شراء لوحتك الرائعة « وفاة المهرج » .
فابتسم الفنان الشاب وقال :
- اعتقد أنك لن تخسر كثيراً من شراء هذه اللوحة ، أعتقد أنها
جيدة ، وإن كان لا ينبغي أن أقول هذا .

- بل هذه هي الحقيقة يا مستر بريستو ، وإني كثير الإعجاب بلهساتك
الفنية ، وإني لأرجو أن تشرفني بقبولك دعوتي لتناول العشاء معي الليلة
إذا لم تكن مرتبطاً بموعد سابق .
- الواقع اني غير مرتبط بموعد الليلة . ومن ثم يسرني ان

أقبل دعوتك .

.. - إذا هل انتظرك الساعة الثامنة مساء ، هذه بطاقتي وعليها

العنوان ا

- اوه .. حسنا وشكراً جزيلاً .

وقال ساترويت لنفسه وهو ينصرف :

« إنسه شاب عبقرى لطيف .. ولكنه كما يبدو خجول لا يعرف

قدر نفسه »



وصل فرانك بريستو في الثامنة وخمس دقائق مساء حيث وجد لدى
المستر ساترويت ضيفا آخر هو الكولونيل مونكتون ومضى الثلاثة
فوراً إلى مائدة العشاء حيث كان ثمة مقعد رابع خال قال عنه
المستر ساترويت :

- إننى انتظر حضور صديق لى يدعى المستر كوين .. هارلى كوين ،

هل تعرفه يا مستر بريستو ؟

فاضطرب وجه الفنان الشاب وقال مرتبكا :

- الواقع انه هو الذى اوحى الىّ بفكرة لوحة « وفاة المهرج » وكان

طبيعيا ان يأتى الشبه مماثلا بينه وبين وجه المهرج .

وكان الكولونيل مونكتون يتأمل الفنان الشاب كأنه « نوع جديد من

الاسماك النادرة » ، هذا بينما كان المستر ساترويت يقول :

— الواقع أن هذا الشبه هو الذي حفزني على شراء اللوحة ، كما انني اعرف المكان الذي صورته فيه ، إنها الشرفة الكبيرة في قصر اللورد شارنلي اليس كذلك ؟

فلما اوما الفنان برأسه ، استطرد ساترويت يقول :
— لقد تولت في ضيافة اللورد شارنلي بضع مرات قبل مأساته ، ولعلك تعرف بعض افراد أسرته !

فقطب بريستو جبينه وقال :
— يؤسفني ألي لا اعرف احداً في هذه الأسرة ، ولكن المستر كوين هو الذي اقترح علي رسم هذه الصورة هناك !

وبعد لحظات من حديث عادي ، قال المستر ساترويت :
— إن قصر شارنلي من القصور التي تستهوي الناس لزيارتها ، وقد زرقه مرة واحدة بعد المأساة .

وقال بريستو :
— نعم .. إنه قصر تاريخي يحيط به جو من الغموض والأسرار .

وقال الكولونيل مونكتون :
— يقال إن فيه شبعين لا شبعاً واحداً ، شبح الملك شارل الأول يحوب الحساء وهو يحمل رأسه تحت ذراعه ، ولا ادري لماذا ! وشبح السيدة ذات الوعاء الفضي التي يقال انها ترى دائماً بعد وفاة أفراد أسرة شارنلي .

وغمغم بريستو متبهكاً :
— خرافات !

وقال المسار ساترويت بسرعة :

- إنها أسرة سيئة الطالع ، فقد مات أربعة من حاملي اللقب ميتة بشعة ، واخيراً مات اللورد شارنلي منتحراً .

وقال الكولونيل في أمسي :

- كانت مأساة مؤلمة ، وكنت هناك عندما وقعت المأساة .

وقال ساترويت :

- آه .. نعم ، كم مضى عليها الآن ؟ نحو أربعة عشر عاماً ولا يزال القصر مهجوراً منذ ذلك الحين .

وقال الكولونيل :

- إنني لا أعجب لهذا ، فلا ريب ان المأساة كانت صدمة قاسية على عروس اللورد الشابة التي لم تكن قد تجاوزت السابعة عشرة ، والتي لم يكن قد مضى على زواجها باللورد أكثر من شهر ، وكان اللورد قد عاد معها بعد شهر العمل ، وأقام حفلة تنكرية راقصة احتفالاً بهذه المناسبة ، وبينما المدعوون يتوافدون ، إذاً باللورد الشاب يدخل إلى الغرفة المسماة « قاعة السنديان » ويفلقها على نفسه ؟ ثم ينتحر . وكان الحادث غريباً لا يكاد يصدقه احد .. آه ماذا تقول ؟

والتفت بسرعة نحو اليسار ؛ ثم نظرت إلى المسار ساترويت .. وضحك وهو يقول معتدراً :

- يبدو ان ذكرى المأساة أثرت على اعصابي فقد خيل اليّ اني سمعت شخصاً يتحدثني من هذا المقعد الخالي !
وقابع حديثه الأول قائلاً :

- كانت الصدمة عنيفة على عروس اللورد ، اليس شارنلي .. وكانت يومذاك من اجل الفتيات اللاتي يمكن ان يراهن الانسان في اي مكان .. كانت من النوع الممتلئ بحب الحياة ؛ وبالرغبة في الارتواء منها ؛ ولكنها الآن تعيش كالشبح .. إنني لم ارها منذ اعوام ؛ واعتقد انها تعيش خارج البلاد معظم الوقت .

- والابن ؟

- إنه في كلية ايتون ، ولا يدري أحد ماذا سيفعل حين يبلغ سن الرشد ، إني أعتقد على كل حال انه سيعيد فتح أبواب القصر

وهنا نهض المسكر ساترويت وقال :

- هلم إلى غرفة التدخين ، فإن لدي مجموعة من الصور الفوتوغرافية لقصر شارنلي وأحب أن أطلعكم عليها .

وكان من بين هوايات ساترويت هواية تصوير منازل وقصور أصدقائه من الداخل .

وقد ألف في هذا الموضوع كتاباً أسماه « بيوت أصدقائي » ، وقد ابتهج أصدقاءه بهذا الكتاب وراحوا يتفاخرون بأقتنائهم .

وقال وهو يسلّم بريستو إحدى الصور :

- هذه صورة الشرفة الكبيرة ، وقد التقطتها في العام الماضي من نفس الزاوية التي رسمت منها صورتك ، أرى هذه السجادة الصغيرة في جانب من الشرفة ، إنها سجادة رائعة ، كنت اقنى لو استطعت أن التقطها بفيلم ملون .

فقال بريستو :

- انني اذكركما ، إنها رائحة اللون حقاً ، كأنها قطعة من النار المتوهجة ، ولكني ألاحظ أن وضعها على أرضية هذه الشرفة الواسعة لا يتلاءم مع الذوق السليم ، لأنها صغيرة جداً بالنسبة لاتساع الشرفة ، حتى بدت كأنها بقعة ضخمة من الدماء على الأرضية ذات اللونين الأبيض والأسود .

بل لقد خيل إليّ .. أن وضع هذه السجادة النارية في ذلك المكان يوحي بقسوة المأساة التي حدثت في « قاعة السنديان » .. المؤدية إليها .

وقال الكولونيل :

- قاعة السنديان ! آه ، نعم .. إنها القاعة المسكونة بالشبح ، ويقال أن بين الواح جدرانها لوحاً بالقرب من المدفأة يخفي وراءه خبأً سرياً . كما يقال أن شارل الأول لجأ إلى هذا الخبأ السري ذات مرة ..

ويقولون أيضاً إن اثنين ماتا فيها أثناء المبارزة بالمسدسات ، نعم إن ريجي شارنلي انتحر في هذه القاعة نفسها .

ثم تناول الصورة من يد بريستو ..

واردف قائلاً وهو يتأملها :

- عجباً .. إنها السجادة الفارسية الحمراء الرائعة التي قيل أنها تساوي أكثر من ثلاثة آلاف جنيه .

وعندما كنت هناك ، قبيل الحفلة ، لاحظت أنها كانت موجودة في

قاعة السنديان ، وهي فعلاً مناسبة لهذه القاعة ، ولا أدري من نقلها
من القاعة إلى هذه الشرفة الواسعة ذات الأرض الرخامية !
ونظر المستر ساترويت إلى المقعد الخالي الذي كان قد وضعه إلى
جانب مقعده ..

ثم قال في شرود ذهن :
- نعم ، من نقلها ومتى ؟

فقال الكولونيل :
- أعتقد أنها نقلت من الغرفة إلى الشرفة في نفس يوم المأساة ، لأنني
أتذكر أن شارنلي حدثني عنها وهي لا تزال في الغرفة ، وقال إنه يفكر
في الاحتفاظ بها داخل خزانة زجاجية جيدة التهوية .

وقال ساترويت :
- لقد أغلقت أبواب القصر بعد المأساة مباشرة ، وقد بقي كل شيء
في مكانه منذ ذلك الحين .

وفجأة قال بريستو متسائلاً :
- لماذا أطلق اللورد شارنلي الرصاص على نفسه ؟
فتأمل الكولونيل مونكتون في مقعده وقال :
- لا احد يعرف السبب .

ومنا قال المستر ساترويت :
- انني اظن ان الأمر انتحار !
فنظر الكولونيل إليه مندهشاً وقال :

- تظنه انتحاراً ؟ عجباً ! إنه انتحار طبعاً يا عزيزي ، فقد كنت موجوداً في القصر عندما وقعت المأساة .

ونظر ساترويت إلى المقعد الخالي وابتمس لنفسه كأنما يضحك من فكاهة خاصة لا يعرفها احد .

ثم قال :

- إن الانسان أحياناً يرى بوضوح بعض الجوانب التي كانت غامضة إذا مرت عليها أعوام كثيرة .

فقال الكولونيل معترضاً :

- هراء ! هراء تام .. كيف يستطيع الانسان أن يرى بوضوح أشياء كانت غامضة بعد مرور أعوام كثيرة ؟

وأيد بريستو رأي ساترويت بقوله :

- إنني أدرك ما تعنيه ، ويمكنني القول إنك على حق ، فالمسألة تتعلق بما لسميه التوازن أو حسن التقدير إذا شئت ، أو التناسب واللسبية وما إلى هذا .

فقال الكولونيل ، وهو يتأملت حوله بعنف :

- إذا سألتني عن رأيي ، فسأنا لا أؤمن بهذه النظريات الغامضة ، ولا بما يقال عن تحضير الأرواح أو ظهور الأشباح .. والمهم أن ما حدث كان انتحاراً . لقد شاهدت الحادث بنفسي على وجه التقريب ..

فقال ساترويت :

- حدثنا به إذاً حتى نراه بعينيك .

فقمضم الكولونيل بكلمات غامضة ، ثم اعتدل في مقعده وابتسداً الحديث قائلاً :

- كان الحادث كله شاذاً غير متوقع ، فقد كان شارلبي في حالته العادية ، وكانت الحفلة تضم عدداً كبيراً من المدعوبن ، ولم يكن أحد يتوقع أبداً أن يمضي اللورد الشاب ويطلق الرصاص على نفسه أثناء توافد المدعوبن على القصر .

فقال ساترويت :

- كان من حسن الذوق على الأقل أن ينتظر انصراف المدعوبن من الحفلة ثم ينتحر إذا اراد !

- طبعاً ! إن من فساد الذوق أن يفعل انسان شيئاً كهذا أياً كانت الظروف .

- ولم يكن اللورد معروفاً بفساد الذوق ؟

- نعم ، بل على النقيض ، كان رجلاً سليم الذوق مهذب السلوك إلى أبعد حد .

- ومع ذلك فأنت لا تزال مصرأ على أن الحادث انتحار ؟

فقال الكولونيل :

- طبعاً ، طبعاً ! لقد كنا ثلاثة أو أربعة على رأس السلم داخل القصر . أنا ، والآنسة استراندر ، والجي دارمي ، وواحد أو اثنان آخرون .. واجتاز شارلبي الردمة الواقعة تحتنا في طريقه إلى « قاعة السنديان » .

وتقول الآنسة استراندر أن وجهه كان شاحباً مكتئباً ، وأن اليأس

كان يطل من عينيه ، ولكن هذا كله لغو فارغ ، لأنه لم يكن في مقدور احدا ان يرى وجهه من مكاننا المرتفع ..

وكل ما في الأمر انه كان يسير حقا محني القامة ، كأنما يحمل على عاتقه هموم الدنيا ..

وفادت عليه فتاة من المدعوات ، وكانت وصيفة سيده من سيدات المجتمع ، وكانت الليدي شارنلي قد دعتها مع سيدتها بدافع من العطف ، وكانت هذه الفتاة تبحث عنه لتبلغه رساله شفوية ، فلما رآته في الطريق إلى « قاعة السنديان » فادت عليه قائلة : « لورد شارنلي .. إن الليدي شارنلي تريد أن تعرف . »

ولكنه لم يحفل بها ، ودخل الغرفة ، وصفق الباب وراءه ، وسمعنا صرير المفتاح وهو يفلق الباب على نفسه من الداخل ، ثم إذا نحن ، بعد لحظة ، نسمع دوي الطلقة النارية .

واندفعنا إلى الردهة ، وكان ثمة باب آخر « لقاعة السنديان » يؤدي إلى الشرفة الكبيرة ، ولكننا وجدنا هذا الباب مغلقا ايضا من الداخل فاضطرنا إلى تحطيمه .. وهناك ، على ارضية القاعة ، وجدنا اللورد جثة هامدة والمسدس بالقرب من يده اليمنى ، فكيف يمكن أن يكون الحادث شيئا غير الانتحار ؟ إن هناك احتمالا آخر فقط ، وهو جريمة القتل ولكن هل هناك جريمة قتل بغير قاتل ؟

فقال ساتريت :

- ربما هرب القاتل ؟

- هذا هو المستحيل .. لأن قاعة السنديان ليس لها غير بابين فقط .

باب يؤدي إلى الردهة ، وهو الذي دخل منه اللورد وأغلقه من الداخل
على مسمع منا . وباب يؤدي إلى الشرفة الكبيرة ، وقد وجدناه مغلقا
أيضا من الداخل بالرافج والمفتاح .

— والناقذة ؟

— كانت مغلقة تماما من الداخل أيضا .

وبعد برهة من الصمت قال الكولونيل :

— هذه هي المسألة كلها !

فقال ساترويت :

— إنها كذلك كما تبدو للجميع ، ولكن ..

وعاد الكولونيل يقول :

— وبمناسبة الحديث عن الأشباح ، يمكنني ان اقول إن الشائعات تدور
حول قاعة السنديان هذه ، ويقال إنها مسكونة بالأشباح ، وإن على
جدرانها الخشبية كثيراً من الثقوب الناشئة من رصاص المبارزات ، وإن
كثيراً من المتبارزين ماتوا فيها ، وإن دماء بعضهم تأتي أن تزول من
الأرضية رغم تغيير الأخشاب بغيرها ، ولا ريب أن هناك الآن بقعة
دماء أخرى ، هي دماء المسكين شارنلي .

فقال المستر ساترويت :

— هل توفت منه دماء كثيرة ؟

— لا .. قليلة وقد عجب الطبيب لهذا !

— وأين اطلق الرصاص على نفسه ؟ على رأسه ؟

— لا . بل على قلبه .

فقال بريستو :

- ليست هذه هي الطريقة السهلة للانتحار ، فإن إطلاق الرصاص على القلب يسبب آلاماً قوية ، وقد تجعل المنتحر يتمذب قبل أن يلفظ أنفاسه ، وذلك بعكس إطلاق الرصاص على الرأس الذي يؤدي إلى الموت في الحال ..

وقال ساترويت :

- بمناسبة ما يقال عن أشباح القصر ، هل رأيت يا كولونيل ما يؤيد هذه الشائعات ؟

فاجاب بلهجة تأكيد :

- لا .. ولكنني أظن أن جميع خدم القصر يؤكدون أنهم رأوا شبح السيدة ذات الوعاء الفضي !

ثم أردف قائلاً :

- وأنا أرجو الآن يا ساترويت أن تكون قد تأكدت أن الأمر انتحار .
- نعم ، نعم .. ولكن هذا لا يمنع الانسان من التفكير في شذوذه
هذا التصرف . فلماذا مثلاً ينتحر شاب موفور الذاء ، رفيع المقام .
حديث العهد بالزواج ، في نفس الليلة التي يحتفل فيها بعودته مع عروسه
إلى قصره بعد شهر المسل ؟

وقطب جبينه وأردف قائلاً :

- ولكنه مع هذامات أو انتحار ، وتلك هي الحقيقة التي لا مفر من الاعتراف بها .

وقال الكولونيل :

- لقد ترددت شائعات كثيرة ، كل أنواع الشائعات طبعاً
- ولكن الحقيقة لم يعرفها أحد بعد ا
- نعم ..
- وأعجب من هذا أن أحداً لم يستفد من وقوع هذا الحادث .
- نعم .. فيما عدا الجنين الذي كانت تحمله العروس وهي لا تدري .
ثم ارسل ضحكة تهكية وأردف قائلاً :
- والواقع أن مولد هذا الطفل جاء ضربة قاضية لآمال المسكين
هيجو شارنلي ، أخ اللورد المتوفى فبمجرد أن ثبت أن عروس اللورد
حامل ، راح ينتظر ثمانية شهور ليرى هل سيأتي المولود ذكراً أم
انثى .. فلو إنه جاء أنثى لورث هيجو لقب أخيه وورثته كلها ..
ولكن شاء القدر أن يأتي المولود ذكراً ، وأن تضيع آمال هيجو
ومن معه .

- وماذا كان موقف الأرملة الشابة ؟
- يا للسكينة الانني لم أنس منظرها ، إنها لم تبك أو تنهار ، وإنما
بدت كأنها تجمدت وأصبحت كتمثال بلا روح وقد أغلقت أبواب
القصر بعد المأساة ، كما عرف الجميع ، واكبر الظن أنها لن تعود للحياة في
جوانبه يوماً ا

وابتسم بريستو قائلاً :
- لا ريب أن وراء هذه المأساة امرأة في إحياء اللورد ، أو رجلاً
في حياة أرملة .
فقال ساترويت :

- هذا ما يبدو ا

وقال الكولونيل :

- ولكن المرجح جداً أنها امرأة في حياة اللورد ، لأن الأرملة لم تتزوج بعده .

وهنا قال بريستو بحماس :

- أيا كان الأمر ، فلإني أكره النساء بوجه عام ، انهن السبب في مأساة من هذا النوع ، وأعترف لي لم ألتق في حياتي بامرأة أفادت خيالي وأمرت عواطفني إلا امرأة واحدة ، وقد التقيت بها مصادفة في القطار أثناء عودتي من رحلة في شمال إنجلترا .

فقال ساترويت :

- نعم ، نعم .. إن أكثر قصص الغرام بدأت بمثل هذا اللقاء في القطارات .

- جلسنا في مقصورة واحدة بمفردنا ، وبدأنا نتحدث معاً منذ اللحظة الأولى ، واعتقد أن شيئاً من المواطف المتبادلة ربطت بيننا منذ اللحظة الأولى أيضاً ، وأنا لا أعرف اسمها . بل لا أظن لي سألتيها بها مرة أخرى ، واعتقد أن الشيء الذي أثار عواطفني نحوها ، هو ذلك الطابع الروحي المجيب الذي كان يغلفها ، فقد بدت لي كأنها امرأة خرجت من صفحات إحدى الأساطير .

وأوما ساترويت برأسه وهو يدرك ان فناناً مثل بريستو لا بد أن يتأثر بامرأة من هذا النوع ، اما بريستو ، فقد استطرده قائلاً :

- ويبدو لي ان السر في هذه الروحانية التي تميزت بها أنها أصيبت

في مستهل شبائها بصدمة رهيبة جعلتها تحاول الفرار من دنيا الواقع إلى
عالم الخيال .

- وهل ذكرت لك شيئاً من مأساتها ؟

- لا .. ولكنني استنتجت هذا . فإن طي الانسان ان يلجأ إلى
الاستنتاج أحياناً لكي يصل إلى الحقيقة إذا أراد .

فقال ساترويت ببطء وبلهجة لها دلالتها :

- نعم .. إن على الانسان ان يلجأ إلى الاستنتاج أحياناً .

وفي تلك اللحظة فتح الخادم الباب وقال له .

- إن سيدة تريد مقابلتك يا سيدي لأمر هام ، إنها المس أسباسيا
جلسين .

نهض ساترويت بسرعة مندهشاً ..

لقد كان يعرف من اسباسيا جلين أنها ممثلة مشهورة في المحاء لندن ،
وقد اطلق عليها النقاد اسم « السيدة ذات المندبل » لأنها برعت في تمثيل
ادوار كثيرة بمندبل واحد ، إذ جعلته مرة غطاء للرأس في دور ريفية ،
ومرة « كاب » راحبة ، وثالثة « كاب » ممرضة ، ورابعة « شملة » بائعة لبن
وعشرات اخرى من هذه الأدوار .

ولكنه لم يكن يعرفها شخصياً ، فلماذا تريد ان تقابله ؟
ومضى اليها حيث كانت جالسة في غرفة الاستقبال في وضع مثير يتم
على شدة اعتدادها بنفسها وقوة ثقتهما بجهالها ، وعمق تأثير شخصيتها في
الغير . وكانت طويلة خمرية اللون في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، ولكن
جمالها المذهل جعلها تبدو اصغر من هذه السن .

قالت له بصوتها الجذاب :

- انني اعتذر لك عن هذه الزيارة المفاجئة يا مستر ساترويت ، ولولا
ان الأمر لا يحتمل التأخير ، لطلبت تحديد موعد من قبل .

ثم اردفت قائلة .

- والواقع انني كنت اريد ان اتعرف بك منذ مدة طويلة ؛ ومن ثم

فلإني مبتهجة بهذه الظروف التي دعيتي للحضور . والواقع ألي إذا أردت شيئاً ، فلإني أحب الحصول عليه فوراً ، لأنني لا أطيق الانتظار .

فقال ساترويت :

— أيا كان السبب الذي دفعك إلى الحضور ، فلإني سعيد به يا مس جلين ، وإني انتهز هذه الفرصة لأعرب لك عن اعجابي الشديد بموامبك .

فنظرت إليه باسمه وقالت بعد ان شكرته :

— اما عن سبب حضوري فهو لوحة « وفاة المهرج » . لقد شاهدها اليوم في معرض هاركستر ، ولما اردت شراءها بأي ثمن ، قال لي المدير بأنك سبقتني لشراؤها ..

ثم توقفت برهة عن الحديث قبل ان تردف قائلة :

— والواقع إني اريد هذه اللوحة ؛ وبأي ثمن يا مستر ساترويت ، وقد احضرت معي دفتر الشيكات ، وسوف اترك لك تحديد الثمن الذي تريد .

ونظر ساترويت برهة إلى الممثلة وهو يشعر في قرارة نفسه بنفور قوي من اساليبها المكشوفة للحصول على ما تريد . إنها لم تمد في نظره امرأة جميلة او ممثلة قديرة ، وإنما مخلوقة اثنائية مصممة على ان تظفر بكل ما تنمو اليه ايضاً ، وراح يفكر بسرعة في انسب عذر يقدمه اليها وهو يرفض تحقيق رجائها ، فقال :

— إنني واثق انه لا يوجد الانسان الذي يرفض ان يحقق لك رجاء ، أيا كان يا مس اسبابها جلين ..

— إذا فسوف تعطيني اللوحة ؟

فهز ساترويت رأسه وقال بحزن مصطنع :
- يؤسفني القول ان هذا مستحيل ، لأنني اشتريت هذه اللوحة لكي
اهدتها لسيدة .

- أه ، ولكن .. بالتأكيد يمكنك ..

وهنا دق جرس التليفون بعنف ؛ فتناول ساترويت المسامع ، وإذا
سيدة تقول له

- هل تستطيع التحدث مع المستر ساترويت ؟

- نعم يا سيدتي انني هو ا

- انني الليدي شارنلي .. أليس شارنلي ؛ ولست ادري هل تتذكرني
يا مستر ساترويت بعد كل هذه السنوات ؟

- اوه كيف يمكن ان انساك يا عزيزتي أليس ؟ اهذا معقول ؟

- شكراً يا مستر ساترويت ؛ والان اريد ان اتحدث معك بشأن
لوحة « وفاة المهرج » التي اشتريتها اليوم من معرض هاركستر . انني في
حاجة إلى هذه اللوحة يا مستر ساترويت لأسباب خاصة . فهل اطمع في
ان تتنازل لي عنها ؟

ورأى المستر ساترويت انه قلقى لجمدة من السماء في الوقت المناسب ؛
وكان يعرف ان اسبابها جليلين تسمع حديثه طبعاً ولكنها لا تسمع حديث
الطرف الآخر .. ومن ثم قال مطمئناً :

- يسمعتني جداً ان تقبلها كهدية .. ولكنني ارجو فقط ان تأتي إلى
منزلي الآن .. فهل اطمع في ان تحققي لي هذا الرجاء ؟

- اوه طبعاً ! إن هذا اقل ما يجب ازاء كرمك .. لسوف آتي فوراً .

ولما وضع السماعه . قالت جلين بغضب :
- اكان هذا الحديث عن اللوحة ؟
- نعم ولسوف تأتي السيدة بعد لحظات قصيرة ا
فاشرق وجه الممثلة وقالت فجأة :
- لا ريب انك طلبت حضورها فوراً لتتيح لي فرصة اقناعها
بالتنازل لي عنها ا
- نعم .. يمكنك ان تقنعينها إذا احببت .. والآن هل تسمعين
بالانتقال معي إلى الغرفة الأولى .. فإن لدي بعض الأصدقاء الذين احب
ان اقدمك اليهم ؟
وفتح لها باب غرفة التدخين . ثم قال وهو يقدمها :
- المس جلين .. دعيني اقدم لك صديقي القديم الكولونيل مونكتون
وصديقي الجديد الفنان المستر بريستو ..
ثم توقف عن الحديث فجأة حين رأى المستر كوين جالساً في المقعد
الذي يحتجزه خالياً .. ثم إذا هو يبتسم ويستطرد قائلاً :
- وصديقي المستر هارلي .. كوين .
وقال المستر كوين :
- لقد قدمت نفسي لهذين السيدين اثناء غيابك عن الغرفة يا عزيزي .
وكان ساقرويت قد لاحظ المس جلين قد شقت وتراجعت خطوة
عندما نطق باسم صديقه المستر كوين ..
ولكنها لم تلبث ان عمالكت نفسها بعد لحظات .. ثم التفتت إلى
الفنان بريستو وقالت له :

- ما الذي جعلك قرسم هذه الصورة بالذات ؟
فهرز بريستو كتفيه . ثم قال وهو يختلس النظر إلى المستر كوين :
-إني لا أدري على وجه التحديد .. إنه قصر مثير للخيال ، كما
أن الشائعات كثيرة عن اشباحه وغرفته « المسكونة » وعلى كل حال
اذكر ان صديقاً أوحى إليّ برسم هذه الصورة بعد أن حدثني بأساة
اللورد شارنلي .

وفي تلك اللحظة ، فتح الخادم الباب وأعلن عن وصول الليدي
شارنلي .



أسرع سارويت لاستقبالها ، وكانت قد بلغت الثلاثين من عمرها او
اكثر قليلاً ، وقد تذكرها وهي فتاة في ميعه الصبا ، بملئته حياة
وابتساماً ، وقد اصبحت الآن كالطيف الذي يتحرك في خفة وروحانية
مع الاحتفاظ بكل مقومات جمالها .

وقال لها سارويت :

- شكراً لحضورك يا ليدي ..

ثم سار معها في الغرفة . وبدأ عليها انها تعرف الممثلة المس جلين ..
فهتت بأن تقدم يدها اليها ، ولكن الممثلة ظلت ثابتة في مكانها .

فقال الليدي معتذرة :

- اوه .. إني آسفة ، فقد خطرت لي أني رأيتك من قبل .

فقال المسار ساترويت :

- ربما على خشبة المسرح .. فهذه هي المس اسباسيا جلين !
وهنا قالت المس جلين بصوت ادهش ساترويت لما فيه من تلاوين
مسرحي عجيب :

- إلي سعيدة جداً بلقائك يا ليدي .

ولما قدم بريستو اليها ، قالت وهي تبسم :
- لقد التقيت بالمسار بريستو مرة .. في القطار .

وبعد ان عرفها بالمسار كوين الذي قالت عنه انها تذكر ان
زوجها الراحل قد ذكر اسمه مرة او مرتين اثناء حديثه مع اصدقائه .
جلس المسار ساترويت وتنحنع ، ثم قال وهو ينظر إلى المسار كوين
بين لحظة واخرى :

- إننا الآن نجتمع على غير اتفاق سابق بسبب لوحة وفاة
المرج ، ، وأعتقد أن في مقدورنا الآن ان نعرف الحقائق التي كانت
غامضة .

فقال الكولونيل :

- ما هذا يا مسار ساترويت ؟ هل تدري ان تعقد جلسة روحية ؟

- لا ، ولكن صديقي المسار كوين يعتقد ، وانا انفق معه .. إننا
نستطيع بإعادة النظر إلى احداث الماضي ان نعرف الحقائق كما هي ،
وليست كما كانت تبدو في حينها .

فقالت الليدي :

- الماضي ؟

- إني اعني مأساة زوجك يا أليس ، واعرف ان هذا الحديث قد
يؤلك ..

- لا .. إنه لا يؤلني ، ولم يعد ثمة ما يؤلني الآن !

ونظر ساقرويت برمة إلى الليدي شارنلي وقد بدت في رقة الطيف
أو الشبح ، ثم قال فجأة .

- إنك يا عزيزتي تذكريني « بالسيدة ذات الوعاء الفضي » ..
التي يقال ..

وفجأة ! سقط فنجان القهوة من يد الممثلة اسباسيا جلين على الأرض
منعطماً .. بينما استطرد ساقرويت يقول .

- إننا نقارب .. نقارب جداً ، ولكن من أي شيء . لقد قتل اللورد
نفسه ، فلماذا ؟ إن أحداً لا يعرف !

فتعلمت الليدي شارنلي في مقدمها .. ثم إذا بالفنان بريستو
يقول فجأة :

- إن الليدي شارنلي تعرف السبب .

ونظرت الليدي طويلاً إلى الفنان ، فأوما لها برأسه كأنما يشجعها
على الحديث ..

وأخيراً قالت يهدوء :

- نعم .. إنني اعرف السبب ، وهذا ما يجعلني ارفض العودة
للاقامة في القصر .

.. هل يمكن ان تخبرينا به ؟

- نعم .. لقد عرفت السبب حين عثرت على خطاب بين اوراقه ،

وقد أحرقته .

- وماذا قرأت في الخطاب ؟

- كان خطاباً من فتاة ، فتاة فقيرة كانت تعمل مربية أطفال عند أسرة ميريام . وقد فهمت أنه كان بينها وبينه علاقة حب انتهت بأن حملت منه ، وقد ظلت هذه العلاقة قائمة بينها حتى أثناء خطبتي له .. وقالت في خطابها انها ستخبرني انا بالحقيقة قبل أن ترفع الأمر إلى القضاء ولهذا اسرع وقتل نفسه .

وهنا قال الكولونيل مونكتون :

- إذا فقد وضع الأمر وعرف السبب الحقيقي لانتحاره .

وهنا قال ساترويت :

- ولكننا لم نعرف السبب الذي من اجله رسم المستر بريستو الصورة ، ولكن يمكن أن نستنتج أنه بخياله وروحانيته ، استطاع أن يرمز للناساة بالجسد الملقى في الشرفة الكبيرة ، وبالروح التي تراقب الجسد من وراء النافذة المطلة عليها .

فقال الكولونيل :

- ولكن الجسد لم يكن في الشرفة وإنما كان في قاعة السنديان كما رأينا .

- ربما كان الجسد في الشرفة أولاً ، ثم حمله أحدكم إلى قاعة السنديان .

فبدت الدهشة على الكولونيل وقال :

- إذا كيف رأينا بأعيننا اللورد شاركلي وهو يدخل غرفة السنديان

سائراً ؟

- حسناً ؟ هل رأيت وجهه ؟ هل انت واثق انه اللورد شاركلي حقاً ؟

ما المانع من أن يكون الذي دخل غرفة السنديان رجل آخر يرتدي نفس
العباءة التي كان يرتديها اللورد في الحفلة التنكرية ؟ وإن ما أكد لك أنه هو
اللورد . نداء الفتاة عليه لتبليغه رسالة شفوية !

فقال الكولونيل متهاكاً :

- وإذا كان الذي دخل قاعة السنديان رجل غير اللورد شارنلي ،
فأين ذهب أو اختفى وقد كانت الغرفة مغلقة الأبواب والنوافذ من
الداخل ؟

- ألم تقل أن بها مخبأ سرياً في الجدار ؟

ثم رفع يده ليمنع الكولونيل من مقاطعته وادف قائلًا :

- لقد أصبح الأمر واضحاً الآن .. فلنفرض أن شخصاً ما قتل
اللورد شارنلي في الشرفة الكبيرة ، ثم تعاون مع شخص آخر وسحب
الجثة إلى قاعة السنديان حيث وضع المسدس بجانب اليد اليمنى ، ولكي
يبدو الأمر انتحاراً ، دخل ذلك الشخص إلى قاعة السنديان عن طريق
الردمة وهو في عباءة اللورد حتى يظن من يراه أنه اللورد .

وكان قد اتفق مع اخدم لكي تنادي عليه باسم اللورد شارنلي ..
حتى تجعل الذين يرونه من أهل بيتاكدون أنه هو فعلاً اللورد شارنلي ..
وبعد أن دخل واغلق الباب من الداخل بالمفتاح ، أطلق رصاصة في
الجدار .

وبطبيعة الحال لم يلاحظ احد الثقب الذي أحدثته بجانب الثقوب
الكثيرة ، بعد ذلك اختبأ في الخبأ السري .. وكان طبيعياً بعد ذلك أن
يظن الجميع ان اللورد انتحر ، لأنه لم يكن هناك ما يدعو إلى الشك في

أي احتمال آخر .

وقال الكولونيل :

-- إنني لا زلت أؤمن بأنه انتحرفملا ، والدليل على ذلك هو الخطاب الذي عثرت عليه الليدي شارنلي في أوراقه بعد ذلك .

فقال ساترويت :

-- إن هذا الخطاب مدسوس بين أوراقه عن قصد ، وقد كتبته بمثله صغيرة بارعة ، كانت تأمل يوما أن تكون هي الليدي شارنلي بعد وفاة اللورد !

-- ماذا تعني ؟

-- إنني أعني الفتاة التي اشتركت مع القاتل في تدبير الجريمة .. والقاتل ليس غير هيجو ، اخ اللورد ريجي شارنلي .. وكلنا نعرف ان هيجو كان العضو الفاسد في الأسرة ، وكان يأمل أن يرث اللقب والأموال بعد مقتل أخيه .. وقد اشرك معه في تدبير الجريمة وتنفيذ الخطة عشيقته له !

ثم استدار المستر ساترويت نحو الليدي شارنلي وقال :

-- ما اسم الفتاة التي كتبت ذاك الخطاب ؟

-- مونيكا فورد !

وهنا قال ساترويت للكولونيل :

-- هل كانت مونيكا فورد هي التي نادى على اللورد أثناء قهقهته إلى

قاعة السنديان يا كولونيل ؟

-- نعم . إنني أذكر هذا على وجه اليقين !

ولكن الليدى اعترضت قائلة :

- هذا غير معقول ، لاني التقيت بمونيكا فورد ، واطلعتها على الخطاب ، وأكدت لي أن علاقتها بريحي كانت حقيقة ، وليس من المعقول أن تبلغ فتاة مثلها هذه الدرجة من البراعة في التمثيل !

وعندئذ نظر ساترويت إلى الممثلة اسباسيا جلين وقال يهدوء :
- اعتقد أن ذلك كان في مقدورها ، لأنها ولدت ممثلة بطبيعتها .

وقال بريستو :

- ولكن هناك نقطة واحدة لا وال غامضة ، إذ كيف استطاع القاتل أن يزيل الدماء بسرعة من ارضية الشرفة التي حدثت فيها الجريمة ؟
فابتسم ساترويت وقال :

- إنه لم يكن هناك الوقت الكافي لازالة الدماء طبعاً ، ولهذا نقل السجادة من قاعة السنديان ووضعها فوق بقع الدماء في الشرفة ، وهذه العملية لا تستغرق اكثر من دقيقة .

- هذا معقول جداً . ولكن كان لا بد من إزالة آثار الدماء بعد ذلك على كل حال .

- طبعاً ، طبعاً . إن شريكة القاتل انتهزت فرصة الاشاعة الدائرة حول شبح السيدة ذات الوعاء الفضي ، فتسللت ليلاً في ملابس بيضاء وهي تحمل وعاء فضياً من الماء لتزيل آثار الدماء ، وكانت مطمئنة إلى ان الذي قد يراها ، سيفر هارباً منها .

ثم ابتسم ساترويت واردف قائلاً للممثلة جلين :

- اعتقد ان هذا هو سبب سقوط فتجان القهوة منك حين ذكرنا شبح

السيدة ذات الرعاء الفضي ، اليس كذلك ؟ وأعتقد انك احسست بالخوف حين رأيت صورة « وفاة المهرج » ، وقد خطر لك ان احداً ما قد رآك مع القاتل اثناء ارتكاب الجريمة .

وهنا صاحت الليدي وهي تمدق النظر في وجه الممثلة :

- انك انت مونيكا فورد اليس كذلك ؟

ووثبت مونيكا فورد - او اسباسيا جلين - ودفعت ساترويت بعيداً عنها ، ثم رقت امام المستر كوين قرتعد وتقول :

- كنت أنا على حق إذا ، حين احسست يومذاك أن هناك من يراقبنا . فقد كنت انت هناك ، ثرانا من وراء النافذة المطلة على الشرفة . لقد رأيت ما فعلنا ، أنا وهيجو ، ولما رقت وجهي إلى النافذة خيل إلي اني رأيت لحة من وجه إنسان يراقبنا ، ثم يختفي . وهذا ما جعلني أعيش في رعب طيلة هذه السنوات ، ولما رأيت الصورة وانت فيها واقف وراء النافذة تعرفت عليك .. ولكن ، ما الذي جعلك تلزم الصمت كل هذه الأعوام ؟

فقال كوين بهدوء .

- ربما لكي يستريح الموتى في قبورهم ؟

وفجأة اندفعت اسباسيا نحو الباب وفتحته ، ثم قالت في تحد :

- افعلوا ما شئتم بي .. فقد أحببت هيجو حب الجنون ، وساعدته على تنفيذ خطته التي لم تصل بنا إلى النتيجة المرجوة .. وقد مات هو محسوراً في النهاية .. أما أنا ، فلاني اجد التمثيل والتنكر ، كما قال ذلك الرجل المعجوز ، ولن يستطيع رجال البوليس في العالم ان يقتفوا أثري ،

ولسوف ارحل عن البلاد في خلال اسبوع .. وداعاً !
وصفقت الباب وراءها ، ثم لم يلبث الجميع ان سمعوا باب المنزل
الخارجي وهو ينصفق ايضاً .



هتفت الليدي شارنلي والدموع تنحدر من عينيها :
- يا زوجي العزيز المظلوم .. لقد عشت حياتي كلها واذا احقد عليك
بسبب ذلك الخطاب المزيف .. اما الآن ، فأرجو ان تنام في قبرك
بسلام . ولسوف اعود إلى القصر واعيدُ اليه نبضات الحياة من جديد .
ثم نهضت وتقدمت نحو ساترويت وقبلت وجنتيه وهي تقول :
- شكراً لك يا مسر ساترويت .. فقد اعدتني إلى الحياة مرة
اخرى بعد أن كنت اعيش نصف ميتة .

ثم صافحت الفنان بريستو بجمرة وقالت له وهي تبسم :
- دعني اهنئك على عبقريتك ، وارجو ان اراك في اقرب فرصة
تورني في قصري ، ولعلك تستطيع أن تستلهم منه لوحات أخرى .

ولما انصرفت ، قال ساترويت لمسر بريستو :

- ماذا تنتظر ؟

- أنتظر ماذا ؟

- ألم تشعر أنها تبادلك العاطفة ؟

فاضطرب وجه الفنان الشاب ، ثم نهض مرتبكاً وهو يقول :

— أترى هذا حقاً ؟

والثفت ساترويت نحو المستر كوين ليقول له شيئاً ، ولكنه وجد انه
قد رحل فجأة ، كما جاء فجأة ..

فهز كتفيه وقال :

— لا ريب انك حدثت المستر كوين بلسانك مع هذه السيدة في
القطار .. فأوحى لك برسم هذه اللوحة وهو يعرف ما سياترب عليها
من نتائج .. انه لا يهمه الحادث نفسه بعد ان اتمى ، ولكن همه
الأحباء من المشاق .. وأرى انه نجح ايضا هذه المرة في إعادة الحياة إلى
سيدة لا تزال في رونق الشباب .. وإلى بعث خفقات الحب في قلبها
لفنان شاب .. اسرع يا صديقي والحق بها .. فلن تندم ا .

— تمت —



Organization of the Alexandria Library (OOL)
Bibliotheca Alexandrina